الفصل السادس :

مـــع

ســـورة الفـــرقـــان

الأول : قصص بعض الأنبياء وعقوبات مكذبيهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [1].

المعنى الإجمالي :-

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾[2] ، أي التوراة ، وقيل المراد بالكتاب الحكم والنبوة [3] (وَزِيرًا) معيناً يؤازره في الدعوة إلى الله ويعينه في أعباء الدعوة والوزير هو المعاون المظاهر مشتق من الأزر وهو القوة [4].

﴿ ..وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ .. ﴾[5]: هم الذين كانوا يعبدون الأصنام ولهم آبار ومواش

(والرس) : البئر المطوية (غير المبنية) [6]

﴿ ..وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ ﴾[7] التتبير : التفتيت والتكسير وقيل التدمير [8]

---

(١) سورة الفرقان : الآيات ٣٥ : ٤٠ .
(٢) سورة الفرقان : من الآية ٣٥ .
(٣) شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني ، (دار الفكر للطباعة والنشر) ١٨/٤.
(٤) محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، (تونس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤) ٢٥/١٨ .
(٥) سورة الفرقان : من الآية ٣٧ .
(٦) أ. وهبة الزحيلي ، تفسير المنير ، (دمشق ، دار الفكر – ١٩٩١) ٦٤/١٩ .
(٧) سورة الفرقان : من الآية ٣٧ .
(٨) روح المعاني ، مرجع سابق ٢١/١٨ ، وانظر الفخر الرازي ، التفسير الكبير (بيروت ، دار أحياء التراث ، ١٩٩٥) ٤٦١/٢٤ ، وانظر أبي جعفر النحاس ، إعراب القرآن ١٦١/٣ .

تحدثت الآيات الكريمة هنا عن العتاة الظالمين أعداء الله وأعداء رسله وأعداء دعوته وكيف كان مصيرهم عندما حاربوا الله فأخذهم الله بشديد عذابه وأليم عقابه ، ويقص المولى ﷻ على رسوله ﷺ لتسليته ولإرهاب مكذبيه عديداً من قصص الرسل السابقين عليه الذين رأوا من قومهم ألوان العنت والتكذيب كقوم موسى وهارون ، وقوم نوح وعاد ، وقوم هود ، وقوم صالح الذين رأوا من قومهم ألوان العنت والتكذيب كقوم موسى وهارون ، وقوم نوح وعاد ، وقوم هود ، وقوم صالح .

القصة الأولى :

"بدأ تعالى في هذه الآيات بذكر موسى عليه السلام - آمراً موسى وهارون بالذهاب إلى فرعون وقومه لتبليغ الرسالة ، وهي إعلان الوحدانية والربوبية لله ﷻ فلا إله غيره ولا معبود سواه فلمّا ذهبا كذبهما فرعون وجنوده ، فلمّا كذب فرعون وقومه برسالة موسى وأخيه هارون ولم يعترفوا بوحدانية الله تعالى ، أهلكهم إهلاكا شديدًا بالإغراق في البحر"[1]

القصة الثانية :

"قصة نوح عليه السلام مع قومه الذي مكث يدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام زمنًا وهو ألف سنة إلا خمسين ، فبعد أن كذبوه ويئس من إيمانهم أغرقهم الله جميعاً بالطوفان وجعلهم للناس آية أي علامة ظاهرة على قدرته وأعد لهؤلاء المشركين من قوم نوح عليه السلام ولكل ظالم عذاباً شديد الألم في الآخرة ، ونجى الله الذين آمنوا مع نوح في السفينة" [2] .

(١) التفسير المنير ، مرجع سابق ٦٨/١٩ .
(٢) المرجع السابق : ٦٨/١٩ .

وقوله تعالى (لَّمَّا كَذَّبُواْ) ذكر الجنس ، وأراد به نوحًا وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا نوح وحده ، فنوح إنما بعث بـ لا إله إلا الله وبالإيمان بما ينزل الله تعالى ، فلما كذبوه كان في ذلك تكذيب لكل من بعث بهذه الكلمة .

"فتكذيبهم لنوح عليه السلام تكذيب للكل (لجميع الأنبياء والرسل) لاتفاقهم على التوحيد والإسلام"[1] .

القصة الثالثة :

قصة عاد وثمود وأصحاب الرس وأقوام آخرين ، مما لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس ، أنذروا جميعاً وضربت لهم الأمثال الحقة وبينت لهم الحجة فأبوا الإيمان ، وكذبوا الرسل ، فأهلكهم الله بالعذاب ودمّرهم تدميراً [2] .

"وأصحاب الرس كانوا قوماً من عبده الأصنام ، أصحاب آبار ومواشٍ فبعث الله تعالى لهم شعيباً عليه السلام ، فدعاهم إلى الإسلام ، فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه ، فبينما هم حول الرس ، خسف الله بهم وبدارهم "[3] .

القصة الرابعة :

"قصة لوط عليه السلام – مع قومه في قرية سدوم ، إحدى قرى قوم لوط الخمس دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة الأصنام والتطهر من الفاحشة ، فأصروا على ما هم عليه

---

(١) المرجع السابق : ٦٩/١٩ ، روح المعاني ، مرجع سابق ١٩/٤ ، وانظر محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير (دار الفكر للطباعة والنشر) ٣٦٢/٢ .

(٢) انظر التفسير المنير ، مرجع سابق ، ٦٩/١٩ .

(٣) انظر التفسير الكبير ، مرجع سابق ، ٤٥٩/٢٤ – ٤٦٠ ، وانظر عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٦م ، ٤/ ٢١٨ .

لأنهم لا يصدقون بالبعث ولا يرجون ثواب الآخرة ، أهلكهم الله بمطر السوء ، أي بالحجارة من السماء وكان مشركو مكة يمرون في أسفارهم بتلك المدائن ومع ذلك لم يعتبروا"[1] .

"هؤلاء كانوا لا يؤمنون بالبعث فلم يكن لهم استعداد للاعتبار ، لأن الاعتبار ينشأ عن المراقبة والمحاسبة للنفس لطلب النجاة ، وهؤلاء المشركون لما نشأوا على إهمال الاستعداد لما بعد الموت قصرت أفهامهم على هذا العالم العاجل فلم يعنوا إلا بأسباب وسائل العاجلة فهم على زكاتهم في تغرس الذوات ومراقبة سير النجوم وحياة الأنفس ونحو ذلك ، وأصل ذلك الضلال كله إنجر لهم من إنكار البعث فلذلك جعل هنا لانتفاء اعتبارهم بمصير أمة كذبت رسولها وعصت ربها"[2] .

"وهذه الأمثلة كلها من قوم موسى ونوح وعاد وثمود وأصحاب الرس والقرون الكثيرة بين ذلك ، ومن القرية التي أمطرت مطر السوء ، وهي قرية لوط كلها تسير سيرة واحدة وتنتهي نهاية واحدة" وكلا ضربنا الأمثال "للعظة والاعتبار وكلاً تبرنا تتبيراً ، وكانت عاقبة التكذيب هي التحطيم والتفتيت والدمار والسياق يستعرض هذه الأمثلة ذلك الاستعراض السريع لعرض هذه المصارع المؤثرة ، وينهيها بمصرع قوم لوط وهم يمرون عليه في سدوم في رحلة الصيف إلى الشام ، وقد أهلكها الله بمطر بركاني من الأبخرة والحجارة فدّمرها تدميراً ، ويقرر في نهايته أن قلوبهم لا تعتبر ولا تتأثر لأنهم لا ينتظرون البعث ولا يرجون لقاء الله ، فذلك سبب قساوة تلك القلوب وانطماسها ، ومن هذا المعين تنبع تصرفاتهم واعتراضاتهم وسخرياتهم من القرآن ومن الرسول[3] .

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه القصص السابقة المعاناة التي عاناها أنبياء الله ﷻ في تبليغ الدعوة إلى أقوامهم ، وما لاقوه هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم من العذاب

(١) انظر التفسير المنير : مرجع سابق ، ٦٩/١٩ ، التفسير الكبير ، مرجع سابق ، ٤٦١/٢٤ .
(٢) التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ٣١/١٨ .
(3) سيّد قطب : في ظل القرآن ، ط٩ ، (بيروت ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٠م) ٢٥٦٤/٥ .

والاستهزاء بهم ومع ذلك صبروا وكافحوا من أجل تبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، وهذا فيه تسلية للرسول وللمؤمنين وحث على الصبر والمصابرة وعلى جهاد لكفار بالحجة والبرهان

وكذلك ما لقته تلك الأقوام المعاندة والمتجبرة من العذاب والإهلاك بسبب كفرهم وطغيانهم ، وهذه هي نهاية كل معاند ومتجبر.

الآثار التربوية :

١. وحدة ما دعا إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا يؤكده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] ، وأن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً من أولهم إلى أخرهم وأن تنوعت شرائعهم ، وأن تكذيب واحد من هؤلاء الرسل تكذيب لجميع الرسل لأن رسالتهم واحدة .

٢. تقرير أهمية طلب العون في الدعوة لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾[2] .

٣. إن الله تعالى يصطفي ويختار من يشاء من عباده المخلصين القادرين على تحمل أعباء الدعوة .

٤. أن الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلى الصبر الطويل والحكمة ، فقد صبر أنبياء الله على مشاق الدعوة إلى الله وما لقوا من إعراض وصد عن سبيل الله ومجاهدة أعداء الله دون كلل ، وملل كما هو الحال في قصة موسى وهارون ولوط .

٥. الأمل وعدم اليأس كما في قصة نوح عليه السلام فقد مكث في دعوته ألف سنة إلا خمسين عاماً .

---

(1) سورة آل عمران : من الآية ١٩ .
(2) سورة الفرقـــان : الآية ٣٥ .

٦. الأخذ بالأسباب ، فقد اتبع الأنبياء صلوات الله عليهم شتى الأساليب والوسائل من أجل تبليغ الدعوة ودعوة أقوامهم إلى طريق الهدى والنجاة والبعد عن طريق الضلال .

٧. وفيه انتصار الحق على الباطل مهما استعلى فالنجاة للمؤمنين كما هو الحال في مصير قوم نوح .

٨. أن الجزاء من جنس العمل ، فقد عوقب قوم نوح بسبب تكذيبهم بالطوفان .

٩. التخويف من عاقبة الظلم والعناد والجبروت .

١٠. على الدعاة الإقتداء بالأنبياء والصبر في تبليغ الدعوة إلى الناس وإتباع شتى الأساليب والوسائل من أجل تبليغهم الصواب .

فالأنبياء صلوات الله عليهم يمثلون نماذج بشرية بلغت من السمو والعلو منزلة رفيعة سواء في ذواتهم أو في منهجهم في الدعوة .

١١. أنه من أسباب الانحراف في العقيدة التقليد الأعمى للآخرين وتعطيل العقل ، ومن أسباب تصحيح العقيدة إتباع الحق ودعوة العقل للتفكير والتأمل والعلم.

١٢. أنه على الإنسان أن يعتبر ويتعظ عندما تتلى عليه مثل هذه القصص القرآنية، فقد سيقت هذه القصص القرآنية بغية حصول العبرة والعظة مما جاء فيها ، خاصة جانب العاقبة سواء للمؤمنين أو للكافرين .

١٣. في عرض مثل هذه القصص تسلية للدعاة وللمؤمنين الذين يلاقون المعارضة والأعراض عن الدعوة من قبل بعض الناس .

الآثار التربوية في العملية التعليمية :

١. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ العقيدة الصحيحة وإخلاص النية في العلم والعمل .

٢. على المعلم أن يغرس في نفوس المتعلمين أهمية التعاون ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾(١)

وهذا مقتبس من قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ۝٣٥ ﴾(٢) .

٣. العلم يحتاج إلى الصبر والمصابرة من قبيل ضعاف التحصيل والمتخلفين دراسياً .

٤. على طالب العلم الأخذ بجميع الأسباب والإمكانيات المتاحة والممكنة في تحصيل العلم .

٥. وفيه على المتعلم أن يتحلى بخلق التواضع وأن لا يستعلي بعلمه .

٦. على المعلم أن يكون قدوة لتلاميذه في أخلاقه وسلوكه وتصرفاته وأنه راع ومسئول عن رعيته .

٧. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ حب العلم والتعلم والجد والاجتهاد فى تحصيله .

٨. على المعلم أن يبتعد عن التقليد الأعمى وأن يكون كلامه بناء علي حقائق وبراهين وأدلة ليكون أدعى للقبول والتصديق به وكذلك بالنسبة للمتعلم .

---

(1) سورة المائدة : من الآية ٢ .
(2) سورة الفرقان : الآية ٣٥ .

٩. يجب أن يكون هناك تواصل بين إدارة المدرسة وأسر التلاميذ للإسراع في إصلاح أي خلل في سلوك التلاميذ .

١٠. بوجه عام : أهمية أن يكون سلوك المتعلمين متفقاً مع مبادئ الإسلام فلا نسمح في مدارسنا بالانحراف الخلقي أو السلوكي .

الثانى : استهزاء المشركين بالنبي ﷺ وتسمية دعوته إضلالاً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[1]

سبب نزول الآية (٤١) :

روي أن هذه الآية نزلت في أبي جهل ، فأنه كان إذا مرّ رسول الله ﷺ على صحبه قال مستهزئاً أهذا الذي بعث الله رسولاً [2] .

سبب نزول الآية (٤٣) :

أخرج أبن أبى حاتم عن طريق يعقوب القمي .. عن ابن عباس في قوله تعالى:

"أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ" قال : كان الرجل يعبد الحجر الأبيض زماناً من الدهر في الجاهلية ، فإذا وجد حجراً أحسن منه رمى به وعبد الآخر ، فأنزل الله الآية [3]

المناسبة :

بعد بيان مواقف المشركين من إنكار نزول القرآن من الله ، والطعن في نبوة محمد ﷺ وعدم الإيمان برسالته ، وإبداء الشبهات الواهية حول ذلك ، أبان الله تعالى إسرافهم في

(1) سورة الفرقان : من الآية ٤١ : ٤٢ .
(2) التفسير المنير : مرجع سابق ، ١٩/ ٧١ – ٧٢ .
(3) أنظر : نادى بن محمود الأزهرى ، المقبول من أسباب النزول ، ط١ (مطبعة الأمانة – مصر ١٩٩٧) ص ٥٠٧

الشطط والغلو والاستعلاء وإساءتهم لهذا الرسول ﷺ بالاستهزاء به الاستهانة بشخصه والحط من قدره ﷺ متهكمين على اختياره للبعثة النبوية ومغالين في ذلك حتى سمو دعوته إضلالا"[1].

المعنى الإجمالي :

"يخبر الله ﷻ عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ وتعييره بالعيب والنقص فيقول (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) أي أنهم إذا رأوا محمد ﷺ - استهزءوا به واستحقروه وأبعدوا أن يبعثه الله رسولا"[2].

مقارنة بما هم عليه من العزة والسيادة والغنى وما أنت عليه من الفقر واليتم والمسكنة (أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً) ويقولون على سبيل التنقص والازدراء هذا المبعوث من عند الله رسولا إلينا – قبحهم الله – فلم يكن رسول الله ﷺ ألا المثل الأعلى للأنبياء والبشر قاطبة في مشيه وسلوكه وتصرفاته وأخلاقه وفكره ، ومنطقة العذب ولكن العناد في الكفر الذي يصر عليه أهله على تدليس الحقائق وطمس الفضائل وهم في أصائل قلوبهم يرون الحقيقة ويظهرون غيرها بدليل قولهم كالآتى (إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ) أي قارب محمد ﷺ أن يثنيهم عن عبادة الأصنام ويحملهم على ترك دينهم إلى دين الإسلام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا على ما هم عليه وتمسكوا بالوثنية والأسطورة وفي هذه دلالة واضحة على تناقضهم وإظهارهم خلاف ما يعتقدون من الحقيقة لأنهم عرفوا محمداً الصادق الأمين الراجح في العقل في غضون

(1) التفسير المنير ، مرجع سابق ، ٧٢/١٩ .
(2) عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ت (٥٤٦هـ) ، المحرر الوجيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م) ، ٢١١/٤ .

أربعين عاماً من العمر قبل النبوة ولم يوجهوا له يوماً ما أي طعن ونقد وإنما على العكس كان محل احترام وإجلال من الجميع"[1].

وبعد أن حكى الله تعالى – كلامهم زيّف طريقتهم وسفه آراءهم من وجوه ثلاثة :

الوجه الأول :

قوله تعالى:﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ هذا جواب قولهم (إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا) المتضمن أنهم على هدى في دينهم ، وكان الجواب بقطع مجادلتهم وإحالتهم على حين رؤيتهم العذاب ينزل بهم[2].

ففي هذه الآية الكريمة وعيد شديد لهم وتهديد على التعامي عن الحق والإعراض عن الاستدلال والنظر أو على وصفهم له بالإضلال ، فأنهم حين يشاهدون العذاب الذي لا مفر لهم منه يدركون من أخطأ طريقاً أهم أم المؤمنون – وهو ﷺ قائدهم ، ومن الضّال من المضل[3].

الوجه الثاني :

قوله تعالى :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾.

هذا يأس عن إيمانهم ، وإشارة إليه عليه الصلاة والسلام أن لا يتأسف عليهم وإعلام أنهم في الجهل بالمنافع وقلة النظر في العواقب مثل البهائم[4].

---

(1) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٢/١٩ – ٧٣ .
(2) التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ٣٤/١٨ .
(3) التفسير والمنير ، مرجع سابق ، ٧٣/١٩ .
(4) البحر المحيط : مرجع سابق ، ٤٥٩/٦ .

ومعنى "ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ" أي جعل هواه مطاعاً وصار كالإله والهوى قائد إلى كل فساد لأن النفس أمارة بالسوء ، وإنما الصلاح إذا ائتمرت للعقل [1] .

ففي هذه الآية الكريمة تنبيه على عدم الفائدة من دعوة من سيطرت عليه الأهواء إلى الدين الحق ، فانظر فيمن جعل هواه إلهه ، بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه ، واستولى عليه التقليد ، وصمّ أذنه عن سماع الدليل المقنع والبرهان الساطع فكل ما زين له الهوى شيئاً انقاد له وحينئذ لن تستطيع منعه من الشرك والمعاصي ولن تكون مستطيعاً دعوته إلى الهدى ولا ولياً حافظاً على شؤونه لتقمعه عن الضلال وترشده إلى الهدى والصواب ، فما استحسنه بهواه جعله دينه ومذهبه ، وهذا دليل على ألا حجة لهم في عبادة الأصنام إلا التقليد وإشباع الأهواء ، ولا يرشد إلى طريقهم فكر ولا عقل سليم" [2] .

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾[3]

فالهداية والضلالة ليستا موكلتين إلى مشيئة النبى ﷺ وإنما عليه التبليغ والآية تسلية له عن تركهم الإيمان وإعراضهم عن دعوته .

الوجه الثالث :

قوله تعالي :

﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

(1) المحرر الوجيز : مرجع سابق ، ٢١٢/٤ .
(2) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٤/١٩ .
(3) سورة ق : من الآية ٤٥ .

هذه الآية انتقال من التأييس من اهتدائهم لغلبة الهوى على عقولهم والتحذير من أن يظن بهم إدراك الدلائل والحجج ، وهذا توجيه آخر للإعراض عن مجادلتهم"[1] .

ففي هذه الآية الكريمة ذم أشد مما سبق لذا عبّر عنه بقوله "أم" أي بل للإضراب عما سبق إليه .

والمعنى :

بل أتظن أن أكثرهم يسمعون سماع تدبر وفهم أو يتعقلون ويتفكرون فيما تتلو عليهم وترشدهم إليه من الفضائل والأخلاق الحميدة فتجهد نفسك في إقناعهم بدعوتك ونقلهم إلى العقيدة الصحيحة ، فما حالهم إلا كالأنعام السائمة ، بل هم أسوأ حالاً من الأنعام السارحة واخطأ طريقًا منها ، فإن تلك البهائم تعقل ما هو خير لها وأنفع، وتتجنب ما هو ضار بها وخطر عليها ، أمّا هؤلاء فلا يقدرون مصلحتهم حق التقدير ، فترَهم متهورين في المعاصي قاذفين أنفسهم في المهالك لا يشكرون نعمة الخالق عليهم ولا يعرفون إحسانه ، ولا يفعلون ما يحقق لهم الثواب الأخروي ولا يتجنبون ما يؤدي بهم إلى العقاب والعذاب"[2] .

والسبب في قوله "أكثرهم" دون جميعهم ، لأن هذا حال دهمائهم ومقلديهم ، وفيهم معشر عقلاء يفهمون ويستدلون بالكائنات ولكنهم غلب عليهم حب الرئاسة وأنفوا من أن يعودوا إتباعاً للنبى ﷺ ومساوين للمؤمنين من ضعفاء قريش وعبيدهم مثل عمار وبلال"[3]

(1) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٣٧/١٨ .
(2) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٧٥/١٩ ، وأنظر صديق حسن خان ، فتح البيان ، (الناشر عبد المجيب على محفوظ، القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ٤٤٤/٦ ، ٤٤٥ .
(3) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٣٧/١٨ .

وهذا دليل على فقدهم الإدراك الصحيح والوعي السليم ، وتعطيلهم طاقات الحواس والمواهب الإلهية التي لو فكروا بموجبها دون تأثر بعصبية أو تقليد موروث أو هوى متبع كحب الزعامة والسيطرة ، لانقادوا إلى رسالة الحق والتوحيد وآمنوا بدعوة النبي ﷺ الأنبياء والمرسلين"[1] .

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يتحرر من التبعية والتقليد الأعمى .

٢. الدعوة إلى التفكر والتدبر وإدراك ما في هذا الكون الدال على عظمة الله وقدرته الشاملة .

٣. فيه دعوة إلى الابتعاد عن العناد والجبروت التي تؤدي بصاحبها إلى الهلاك والزوال ، وأن الرياسة والسلطة والمال والجاه لا أهمية له وأنه زائل لا محالة .

٤. في هذه الآيات حث على العلم والبعد ومحاربة الجهل والتبعية والتقليد الأعمى

٥. وفيه أن العقيدة الصحيحة تحقق للإنسان السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة وأن العقيدة الفاسدة تحقق للإنسان الشقاوة في الدنيا والعذاب والخزي الأبدي في الآخرة

٦. وفيه أن الدعوة إلى الله ﷻ تحتاج إلي الحكمة والصبر والتحمل .

٧. في هذه الآيات تسلية للنبى ﷺ لما كان يلقاه من مشقة في دعوته إلى الله ﷻ وتسلية كذلك للدعاة الذين يلاقون المعارضة من قبل الآخرين وعدم القبول .

الآثار التربوية فى الجوانب التعليمية :

١. فيه حث على الصبر والمصابرة في طلب وتحصيل العلم .

(1) التفسير المنير : مرجع سابق ، ١٩/٧٥ .

فعلى المتعلم أن يصبر ويتحمل وأن يجتهد ويثابر في سبيل تحصيل العلم والوصول إلي الحقيقة .

٢. على طالب العلم الأخذ بشتى الأسباب والوسائل المؤدية إلى تحصيل العلم.

٣. تربية المتعلم على التفكر والتدبر والبعد عن التبعية والتقليد الأعمى والابتعاد عن الأوهام والظنونات الزائفة .

٤. على المعلم أن لا يستهزئ بتلاميذه ويسخر منهم نتيجة لضعفهم في التحصيل مثلاً ، فلكل طالب قدرات خاصة به فلذلك على المعلم مراعاة هذه القدرات فكل حسب طاقته واستعداداته .

الثالث : أدلة خمسة على وجود الله وتوحيده :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[1]

المناسبة :

لما بيّن الله تعالى جهل المعرضين عن أدلة التوحيد ومناقشتهم وفساد تفكيرهم في ذلك ذكر خمسة أدلة دالة بنحو قاطع حساً وعقلاً على وجود الصانع الحكيم وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة فقد أورد الله ﷻ أدلة خمسة على وجوده وقدرته من الظواهر الكونية يدركها ويشاهدها كل مخلوق :

١- خلق الظل . ٢- الليل والنهار .

(1) سورة الفرقان : من الآية ٤٥ : ٥٤ .

٣- الرياح والأمطار. ٤- البحار المالحة والعذبة.

٥- خلق الإنسان من الماء [١].

والقرآن يوجه القلوب والعقول دائماً إلى مشاهدة هذا الكون ويربط بينها وبين العقول ويوقظ المشاعر لاستقبالها بحس جديد متفتح، يتلقى الأصداء والأضواء، وينفعل بها ويستجيب ويسير في هذا الكون ليلتقط الآيات المبثوثة فيه والمنثورة في أرجائه ويرى فيها يد الصانع المدبر ويستشعر آثار هذه اليد في كل ما تقع عليه عينه وكل ما يلمسه حسه.. ويتخذ من هذا كله مادة للتدبر والتفكر والاتصال بالله عن طريق الاتصال بما صنعه الله ﷻ، وفي ظلال هذه المشاهد الموجبة يوقظ القلب وينبه العقل إلى تدبر صنع الله ﷻ فيها ويذكر قدرة الله وتدبيره، ويتعجب من إشراك المشركين وعبادتهم ما لا ينفعهم ولا يضرهم وجحودهم وكفرهم" [٢].

المعنى الإجمالي:

نعمة الظل:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾.

المخاطب بهذا الخطاب وإن كان هو الرسول ﷺ بحسب ظاهر اللفظ ولكن الخطاب عام في المعنى، لأن المقصود من الآية بيان نعم الله تعالى بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في أنه يجب تنبههم لهذه النعمة وتمكنهم من الاستدلال بها على وجود الصانع [٣]

(1) التفسير المنير: مرجع سابق، ٧٩/١٩.
(2) في ظلال القرآن، مرجع سابق، جـ٥، ٢٥٦٨.
(3) التفسير الكبير: مرجع سابق، ٤٦٤/٢٤.

والمعنى : ألم تنظر أيها الرسول وكل سامع إلى صنع الله الذي يدل على كمال قدرته ومنتهى رحمته كيف بسط الظل يتفيأ به الناس طوال النهار وينعمون فيه بالوقاية من شدة الشمس ، من طلوع الشمس إلى غروبها ولو شاء لجعله ثابتاً دائماً على حال واحدة لا يتغير طولاً ولا قصراً وإنما جعله متفاوتاً في ساعات النهار والفصول المختلفة ، وفي ذلك فوائد كثيرة للإنسان والنبات والحيوان ... ثم جعل الله طلوع الشمس علامة على الظل فلولا طلوعها لما عرف الظل ، فإن كل شيء يتميز بضده وهذا يعني أن الله تعالى خلق الظل أولاً ثم جعل الشمس دليلاً عليه ويتغير اتجاه الظل بضوء الشمس قليلاً قليلاً ، وشيئاً فشيئاً على مهل غير فجأة بحسب سير الشمس وارتفاعها ، حتى لا يبقى على الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة ، وقد أظلت الشمس ما فوقه [1] .

والظل هو الأمر المتوسط بين الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر إلى طلوع الشمس ، وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وافنية الجدران ، وهذه الحالة أطيب الأحوال ، لأن الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها الحس ، وأما الضوء الخالص وهو الكيفية الفائضة من الشمس فهي لقوتها تبهر الحس البصري وتفيد السخونة القوية وهي مؤذية فإذن أطيب الأحوال هو الظل لذلك وصف الجنة به .

فقال : ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾[2]

ثم أنه لولا الشمس ووقوعها على الأجرام لما عرف أن للظل وجوداً وماهية لأن الأشياء إنما تعرف بإضدادها ، فلولا الشمس لما عرف الظل ولولا الظلمة لما عرف النور ، فكأنه سبحانه وتعالى لما طلع الشمس على الأرض وزال الظل ، فحينئذ ظهر للعقول أن

(1) التفسير المنير : مرجع سابق ٧٩/١٩ – ٨٠ .
وانظر نصر بن محمد السمرقندي ، بحر العلوم ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م) ، ٤٦٢/٢ .
(2) سورة الواقعة : الآية ٣٠ .

الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال "ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً" أي خلقنا الظل أولاً بما فيه من المنافع واللذات ثم إنا هدينا العقول إلى معرفة وجوده بأن أطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلاً على وجود هذه النعمة ، "ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ" أي أزلنا الظل لا دفعة بل يسيراً يسيراً فإن كلما زاد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب"[1] .

نعمة الليل والنهار:

قال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾[2].

"مناسبة الانتقال من الاستدلال باعتبار أحوال الظل إلى الاعتبار بأحوال الليل والنهار ظاهرة فالليل يشبه الظل في أنه ظلمة تعقب نور الشمس" [3] .

المعنى الإجمالي :

"أن الله سبحانه وتعالى أنعم على الإنسان بنعمة الليل والنهار كما في قوله تعالى "وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا" أي ستراً تستترون به يريد أن ظلمته تغشي كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه "وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا" راحة لأبدانكم وقطعاً لعملكم

(1) التفسير الكبير : مرجع سابق ، ٤٦٤/٢٤ ، وانظر البحر المحيط ، مرجع سابق ، ٤٦١/٦ وانظر فتح البيان مرجع سابق ، ٤٤٦/٦ – ٤٤٧ .
(2) سورة الواقعة : الآية ٣٠ .
(3) التحرير والتنوير : مرجع سابق ٤٤/١٨ .

وأصل السبت : القطع ، والنائم مسبوت لأنه انقطع عمله وحركته ، "وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا" أي يقظة وزماناً تشترين فيه لابتغاء الرزق وتنتشرين لأشغالكم[1] .

لطيفة :

(جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا) تشبيه بليغ ، حذف منه أداة الشبه ووجه الشبه أي كاللباس الساتر.

(جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا) مقابلة بين الليل والنهار والنوم والتقلب في المعاش[2] .

وكما أن النوم يشبه الموت كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾[3]

فإن الانتشار واليقظة يشبه البعث ، قال لقمان لابنه ، كما تنام فتوقظ ، كذلك تموت فتنشر ، ونظير الآية قوله تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ... ﴾[4]

ففي الليل وسكونه والنوم وراحته والنهار وحركته دليل واضح على وجود الإله الخالق القادر المتصرف في الكون ، ففي ضوء النهار الحياة والبهجة والحركة والعمل وفي الليل الهدوء والسكون وإعداد النفس للكد والكدح والجهاد والله تعالى جعل لكل ظرف ما يناسبه تماماً ويحقق المقصود على أكمل وجه وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها

(1) محمد الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل (الرياض ، دار طيبة ، ١٩٨٩م) ٨٦/٦ ، وانظر صفوة التفاسير مرجع سابق ٣٦٥/٢ وانظر محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (بيروت ، دار الكتب العلمية ١٩٩٣م) ٢٧/١٣ – ٢٨ ، ط١ (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٠م) ٣٢٩/٣ .

(2) انظر : محمد على الصابوني ، صفوة التفاسير (دار الفكر للطباعة والنشر) ، ٣٦٨/٢ وانظر : محمود صافي إعراب القرآن ، ط١ (بيروت ، دار الرشيد ، ١٩٩١م) ، ٢٩/١٩ .

(3) سورة الأنعـــام : من الآية ٦٠ .

(4) سورة القصص : من الآية ٧٣ .

إظهار لنعمته على خلقه لأن في ستر الليل فوائد دينية ودنيوية ، وفي تشبيه النوم واليقظة بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر[1] .

كما أن في اختلاف الليل والنهار آيات جمة لما يدل عليه حصول الظلمة من دقة ونظام دوران الأرض حول الشمس ومن دقة نظام خلق الشمس ، ولما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض ومن فوائد نور الشمس[2] .

نعمة الرياح والمطر :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾[3]

هذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو أنه تعالى يرسل الرياح مبشرات بمجيء السحاب بعدها .

والرياح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها ما يثير السحاب ومنها ما يحمله ومنها ما يسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشرات ومنها ما يكون قبل ذلك تقم الأرض ، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر[4] .

المعنى الإجمالي :

أن الله ﷻ أرسل الرياح مبشرة بنزول الغيث والمطر ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ أي أنزلنا من السحاب الذي ساقته الرياح ماء طاهراً مطهراً تشربون منه وتتطهرون به "لنحيى به بلدةً ميتاً" أي لنحيي بهذا المطر أرضاً ميتة لا زرع فيها ولا نبات

(1) انظر : التفسير المنير ، مرجع سابق ، ٨٠/١٩ – ٨١ .
وانظر : جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف ، ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥) ٢٧٦/٣ .
(2) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٤٥/١٨ .
(3) سورة الفرقان : من الآية ٤٨ .
(4) إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، ط٢ (بيروت ، دار الجبل ، ١٩٩٠م) ٣١٠/٣ .

وليشرب منه الحيوان والإنسان لأن الماء حياة كل حي والناس محتاجون إليه غاية الحاجة لشربهم وزرعهم وسقي مواشيهم"[1].

وفيه تنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها، فبواطنهم أولى بذلك[2].

فقد ذكر الله تعالى لمنافع الماء أمرين: إحياء النبات لقوله: ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ وإحياء الحيوان والإنسان لقوله أنعاما وأناسي" والسبب في تخصيص الإنسان والأنعام هنا بالذكر دون الطير والوحش مع أن الكل بحاجة إلى الماء لأن الطير والوحش تبعد عن طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا"[3].

والسبب في أنه قدّم الأنعام وأخّر الإنسان عن النبات والحيوان لشدة حاجة الحيوان وكونه عاجزاً عن التعبير عن مراده، أما الإنسان فيتفنن في استخراج الماء بوسائل مختلفة[4].

ولأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وحياة أنعامهم، فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم، ولأنهم إذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم، فكأن الإنعام عليهم بسقي أنعامهم كالإنعام بسقيهم[5].

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾[6]

(1) صفوة التفاسير: مرجع سابق، ٣٦٦/٢.
(2) فتح البيان: مرجع سابق، ٤٤٩/٦.
(3) الكشاف: مرجع سابق، ٢٧٧/٣.
(4) أنظر: التفسير المنير، مرجع سابق، ٨٢/١٩.
(5) أنظر: الكشاف، مرجع سابق، ٢٧٧/٣، وانظر إعراب القرآن، محمود صافي، مرجع سابق، ٢٩/١٩. وأنظر شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، (دار الفكر للطباعة والنشر)، ٣١/٤.
(6) سورة الفرقان: من الآية ٥٠.

المعنى :

أي لقد صرفنا ماء المطر بين الناس فأنلنا مطراً كثيراً في بعض السنين على بعض البلاد فيكثر الخصب في بعضها ، والجدب في بعضها الأخر وقوله (لِيَذَّكَّرُوا)أي صرفناه بينهم لأجل أن يتذكروا أي يتذكر الذين أخصبت أرضهم لكثرة المطر ، نعمة الله عليهم فيشكروا له ، ويتذكر الذين أجدبت أرضهم ما نزل بهم من البلاء ، فيبادروا بالتوبة إلى اللهﷻ ليرحمهم ويسقيهم ، ولكن أكثر الناس يأبون شكر النعمة ويكفرون بها ويجحدونها وينسبون ذلك لغير الخالق الحقيقى ، فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا[1] .

كما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوماً على أثر سماء أصابتهم من الليل أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: أصبح من عبادي مؤمن بى وكافر ، فأما من قال ، مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذاك مؤمن بي كافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي، مؤمن بالكواكب"[2] .

وفي إنزال المطر والتحكم فيه من قبل الله دليل على وجوده وقدرته وحكمته فإذا ما أحيا الله الأرض الميتة به ، تذكر الناس أنه قادر على إحياء الأموات والعظام الرفات وإذا ما حرم قوم المطر تذكروا إنما أصيبوا بالحرمان بذنب حدث منهم فيقلعون عما هم عليه ، ليتعرضوا إلى رحمة الله ، وكما أن المطر نعمة ينبغي أن تذكر فتشكر وهناك نعمة عظمى على الإنسانية وهي إرسال الرسول محمد ﷺ بالقرآن[3] .

---

(1) محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ، أضواء البيان ، (بيروت ، عالم الكتب ، ١٩٠٠م) ، ٣٣٦/٦ .
(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كفر من قال مطرنا بالنوء ، برقم ١٢٥جـ ١ ، ص ٨٣ ٨٤ ، وأنظر الموطئ ، للأمام مالك ، كتاب الاستسقاء ، الاستمطار بالنجوم ، برقم ٤٥١ ، ص ١١٩ .
(3) التفسير المنير : مرجع سابق ٨٣/١٩ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ أي لو أردنا لخففنا عنك أيها النبي أعباء النبوة فبعثنا في كل أهل قرية نبياً ينذرهم ، ولكنا خصصناك بالبعثة على جميع أهل الأرض إجلالا لك وتعظيماً لشأنك فقابل هذا الإجلال بالثبات .

ولا تطع الكفار ولا تتبعهم فيما يدعونك إليه من مجاملة أو موافقة لآرائهم ومذاهبهم وجاهدهم بكل سلاح مادي وعقلي وهو القرآن جهاداً شاملاً لا هوادة فيه ، متناسباً مع كل فرصة تنتهزها[1] .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾[2]

(جِهَادًا كَبِيرًا) أي شديداً عظيماً موقعه عند الله لما يحتمل منه من المشاق لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيوف أريد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم [3] .

نعمة البحار المالحة والعذبة :

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[4]

جمعت هذه الآية استدلالاً تمثيلاً وتثبيتاً ووعداً ، فصريحها استدلال على شيء عظيم من آثار القدرة الإلهية وهو التقاء الأنهار والأبحر.

---

(1) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٦/٢ ، فتح البيان ، مرجع سابق ، ٤٥١/٦ وانظر : الفضل بن الحسن الطبرسي جوامع الجوامع ، ط ١ ، (بيروت ، دار الأضواء ، ١٩٨٥م) جـ ٢ ، ص ١٧٧ ، وانظر محمد بن محمد العمادي (أبو السعود) ، إرشاد العقل السليم (القاهرة ، دار الأضواء ، ١٩٨٥م) جـ ٢ ، ص ١٧٧ ، وانظر محمد بن محمد العمادي (أبو السعود) ، إرشاد العقل السليم (القاهرة ، دار المصحف ، ١٩٨٠) ، ٢٥٥/٥ .

(2) سورة التوبة : من الآية ٧٣ .

(3) صفوة التفاسير: مرجع سابق ، ٣٦٦/٢ .

(4) سورة الفرقان: من الآية ٥٣ .

المعنى الإجمالي :

أن الله ﷻ بقدرته خلى وأرسل البحرين متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان أحدهما شديد العذوبة قاطع للعطش من فرط عذوبته وآخر بليغ الملوحة مر شديد المرارة وجعل بينهما حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على الآخر، (وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) أى منعاً من وصول أثر أحدهما إلى الآخر وامتزاجه به[1]

فإن قلت (وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) ما معناه ؟ قلت : هي الكلمة التي يقولها المتعوذ (موضعه موضع الأستعاذة) وهي هاهنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً كما قال "لا يبغيان" أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة ، جعل لكل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة"[2].

قال ابن كثير في معني الآية : "أنه تعالي خلق المائيين ، الحلو والمالح فالحلو كالأنهار والعيون والآبار ، والمالح كالبحار التي لا تجري ، وجعل بين العذب والمالح حاجزاً وهو اليابس من الأرض ومانعاً من أن يصل أحدهما إلى الآخر"[3] .

وفي ضمن هذه الآية (٥٢) تمثيل لحال دعوة الإسلام في مكة يومئذ واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال تجاور البحرين : أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج، وتمثيل الإيمان بالعذب الفرات ، والشرك بالملح الأجاج وأن الله تعالى كما جعل بين البحرين برزخاً يحفظ العذب من أن يكدره الأجاج وكذلك حجز بين المسلمين والمشركين فلا يستطيع

(1) صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، وانظر فتح البيان ، مرجع سابق ٤٥٢/٦ – ٤٥٣ .
(2) الكشاف : مرجع سابق ٢٧٩/٣ ، وانظر تفسير أبو السعود ، مرجع سابق ، ٢٢٥/٥ ، وانظر إعراب القرآن محمود صافي ، مرجع سابق ، ٣٢/١٩ – ٣٣ ، وانظر تفسير أبو السعود ، مرجع سابق ، ٢٢٥/٥ ، وانظر إعراب القرآن ، محمود صافي ، مرجع سابق ، ٣٢/١٩ – ٣٣ ، وانظر جوامع الجامع ، مرجع سابق ، ١٧٧/٢ .
(3) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١١/٣ .

المشركون أن يدسوا كفرهم بين المسلمين ، وفي هذا تثبيت للمسلمين بأن الله يحجز عنهم ضر المشركين لقوله تعالى :

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾[1] وفي ذلك تعريض كنائي بأن الله ناصر لهذا الدين من أن يكدره الشرك[2]

خلق الإنسان من الماء

قال تعالي : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[3]

مناسبة موقع هذا الاستدلال بعد ما قبله أنه استدلال بدقيق آثار القدرة في تكوين الحياة وجعلها سبب حياة مختلفة من الأشكال والأوضاع ومن أعظمها دقائق الماء الذي خلق منه أشرف الأقوام التي علي الأرض وهو نطفة الإنسان بأنها سبب تكوين النسل للبشر فإنه يكون أول أمره ماء ثم يتخلق منه البشر العظيم فالتنوين في قوله "بشراً" للتعظيم [4] .

المعنى الإجمالي :

أن الله تعالي خلق الإنسان من نطفة ضعيفة ، فسّواه وعدّله وجعله كامل الخلقة ذكراً وأنثى كما يشاء [5] .

"فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ" أي قسمهم من نطفة واحدة قسمين : ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم لأن النسب إلى الآباء ، وإناثا يصاهر بهن فبالنسب يتعارفون

(1) سورة آل عمران : من الآية ١١١ .
(2) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٥٤/١٨ .
(3) سورة الفرقان : من الآية ٥٤ .
(4) التحرير والتنوير ، ٥٥/١٨ ن وانظر : صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، ٣٦٧/٢ .
(5) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١١/٣ .

ويتواصلون ، وبالمصاهرة تكون المحبة والمودة واجتماع الغريب بالقريب "وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا" أي مبالغاً في القدرة حيث خلق من النطفة الواحدة ذكراً وأنثى"[1] .

ولو راح الإنسان يدقق في هذا الماء الذي يخلق منه الإنسان لأدركه الدوار وهو يبحث عن خصائص الإنسان الكاملة الكائنة في الأجسام الدقيقة البالغة الدقة ، التي تحمل عناصر الوراثة للجنس كله ، وللأبوين وأسرتيهما القريبتين لتنقلها إلى الجنين الذكر والجنين الأنثى كل منهما بحسب ما ترسم له يد القدرة من خلق واتجاه في طريق الحياة [2]

وهذا دليل على قدرة الله تعالي إذ خلق الإنسان في أحسن تقويم وزوده بطاقات الحس والعقل والمعرفة والتفكير ، وأقدره على مخلوقات الدنيا ، وجعلها مذللة مسخرة لخدمته ونفعه سبحانه من إله بديع الخلق عجيب الصنع واهب الوجود ومبدع الكون العجيب .

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يتفكر في هذا الكون الدال على وجود الله ﷻ والدال على وحدانيته وقدرته وعظمته ، فالقرآن يوجه العقول والقلوب دائماً لمشاهدة هذا الكون ليرى ما في هذا الكون من آيات مبثوثة ومنثورة في أرجائه ويرى فيها يد الصانع المدبر ويستشعر عظمته ويتخذ من هذا كله مادة للتدبر والتفكر.

٢. وفيه أن على الإنسان أن يتوجه بالعبادة إلى الله ﷻ لأنه وحده المستحق للعبادة فلا معبود بحق سواه ، فهو المنعم المتفضل على عباده .

(1) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٧/٢ ، وانظر تفسير أبي السعود ٢٦٦/٥ ، وأنظر فتح البيان ، ٤٥٤/٦ .
(2) في ظلال القرآن : مرجع سابق ، ٢٥٧٣/٥ .

٣. وفيه أن الله خلق الكون لخدمة الإنسان وتحقيق مصالحه ورعاية أسباب حياته ورفاهيته هذا من شأنه تربية عواطف الإنسان على الخشوع لله والشعور بفضله ورحمته وتدفع الإنسان إلى شكره وحمده .

٤. من خلال هذه الظواهر الكونية الربانية يدرك الإنسان مدى ضعفه وعجزه في الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى هو القوي والقادر على كل شيء .

٥. وفيه أنه على الإنسان الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية لمحاربة أعداء الإسلام

٦. وفيه أنه على الإنسان أن يستغل أوقاته لما فيه سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة

٧. وفيه أن الله جعل لكل ظرف ما يناسبه تماماً ، خلق الله الليل والنهار لحكمة والنهار فيه حركة وسعي لذلك على الإنسان أن يجد ويجتهد ويسعى في الطلب وأن يكون عمله هذا ابتغاء مرضاة الله ﷻ والليل فيه سكن وهدوء وراحة فعلى الإنسان أن يعلم بأنه لبدنه عليه حق فعليه أن يأخذ قسطاً من الراحة يعينه ذلك على العبادة والقيام والعمل في النهار ففي الليل فوائد دينية ودنيوية يجب أن يستغلها الإنسان .

٨. باختلاف الليل والنهار عرف الإنسان حساب الآجال ومواسم الأعمال وعدد الأيام والشهور والأعوام وما زال الإنسان يضبط أوقاته على هذا الميقات الرباني .

٩. فيه حث على الدقة في العمل بالنظر إلى هذا الكون البديع الدقيق الصنع.

١٠. وفيه أن الإنسان عليه إذا عمل عملاً أن يحسنه ويتقنه فالله تعالي يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه .

١١. فيه حث الإنسان على التواضع وعدم التكبر بالنظر إلى أصل خلقته فقد خلقه الله ﷻ من ماء مهين ، " وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا " .

١٢. فيه بيان منزلة النبى ﷺ حيث اصطفاه الله ﷻ بالرسالة وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين تعظيماً له إجلالا ورفع لقدره .

الآثار التربوية في الجوانب التعليمية :

١. على المعلم دعوة طلابه إلى التفكر فى الكون ودعوة تلاميذه إلى استغلال العقل للوصول إلي الحقائق والبعد عن التبعية والتقليد الأعمى .

٢. على المتعلم أن يتدرج في طلب العلم وتحصيله من الأسهل إلي الأصعب قال تعالي "ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا"

٣. أن العلم الذي تستمر نتائجه هو العلم القائم على الدقة والفهم والوضوح وهذا مأخوذ (دقة خلق الكون) .

٤. على المتعلم الأخذ بالأسباب واستغلال قدراته وإمكاناته وأوقاته فيما ينفعه ويحقق له السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة وهذا مقتبس من الليل والنهار والحكمة من خلقهما .

٥. على المتعلم أن يتخذ ويحدد أوقاتاً للراحة ليكون أكثر نشاطاً وإنجاز وإبداعا في مجال تخصصه .

٦. إتاحة الفرصة أمام المتعلم بفتح تخصصات مختلفة في المدارس وتسخير كل إمكانيات المدرسة لخدمة المتعلمين كما سخر الله الكون لخدمة الإنسان .

٧. على المتعلم أن يكون حريصاً وأن لا يتبع رفاق السوء لقوله تعالي :" فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ " .

٨. قوله تعالي : "وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا"

أ- على المعلم عزل الطلاب المتخلفين دراسياً وضعاف التحصيل.

ب- أنه على المتعلم أن يسعى دائماً في طلب العلوم النافعة والابتعاد عن العلوم الضارة كالسحر.

ج- فيه أهمية التنويع في طرق ومناهج التدريس وتطويرها وفائدة ذلك على المتعلم.

٩. وقوله تعالي: "وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ" أن المتعلم كالأرض والمعلم كالماء قال الأمام علي: أن المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً، كما أن الأرض توطئة تشتمل ماءها وماء غيرها، والتواضع يأخذ العلم من العلماء أذن على المتعلم أن يتحلى بخلق التواضع ذلك الخلق الإسلامي الرفيع الذي يرفع من قدر صاحبه في الدنيا والآخرة فمن تواضع لله ﷻ رفعه الله ﷻ.

١٠. تشجيع التمييز بين الطلاب وتقدير التلميذ المجتهد.

١١. الدقة في التعليم.

١٢. على المعلم أن لا يحمل طلابه فوق طاقاتهم فلكل استعداداته وإمكاناته الخاصة فيه بمعنى مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.

الرابع: الكافر ظهير على ربه

قال تعالي:

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ﴾[1]

(1) سورة الفرقان: من الآية ٥٥.

بالرغم مما أبان الله تعالى من أدلة التوحيد في ظواهر الكون ، فإن المشركين ظلوا يعكفون على عبادة الأصنام ، فأخبر تعالى عن جهلهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع بلا دليل ولا حجة في ذلك ، بل بمجرد التقليد والهوى والتشهي تاركين إتباع الرسول ﷺ الذي جاء يبشرهم بالخير إن أطاعوا وينذرهم العذاب إن عصوا وأعرضوا وهو لا يبتغي على ذلك أجراً"[1] .

سبب النزول :

قيل المراد بالكافر أبو جهل لأن الآية نزلت فيه [2] .

المعنى الإجمالي :

في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن ضلال المشركين عن عبادة الله وجهلهم وكفرهم بربهم ، فهم يعبدون الأصنام التي لا تنفع ولا تضر لأنها جمادات لا تحس ولا تبصر ولا تعقل [3] .

"وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا " فيه أربعة أقوال .

أحدهما : معيناً للشيطان على أن لا يوحدوا الله تعالى .

الثاني : معينا للمشركين على أن لا يوحدوا الله تعالى .

الثالث : معيناً على أولياء ربه .

الرابع : وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً ، من قولك ظهرت بفلان إذا جعلته وراء ظهرك ولم تلتفت إليه [1] .

(1) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٩٢/١٩ .
(2) التفسير الكبير : مرجع سابق ، ٤٧٦/٢٤ .
(3) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٧/٢ .

قالوا : والمراد بالكافر هاهنا الجنس ، ولا ينافيه كون سبب النزول هو كافر معين كما قيل أنه أبو جهل [٢] .

فالأولى حمل الآية على العموم ، لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ ، ولأنه أوفق بظاهر قوله "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ"[٣] .

وأظهر الأقوال : كان الكافر معيناً للشيطان وحزبه من الكفرة على عداوة الله ورسله ، فالكافر من حزب الشيطان يقاتل في سبيله أولياء الله ، الذين يقاتلون في سبيل الله ، فالكافر يعين الشيطان وحزبه في سعيهم لأن تكون كلمة الله ليست هي العليا وهذا المعنى دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالي :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[٤]

ومعلوم أنّ الذي يقاتل في سبيل الطاغوت المقاتلين في سبيل الله أنه على ربه ظهير[٥].

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يعلم بأن النافع والضار هو الله وحده ، وهذا يربي في النفس الإنسانية السكينة والاطمئنان وعدم الخوف .

---

(1)انظر : جمال الدين بن محمد الجوزي ، زاد المسير ، ط ٣ (بيوت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٤م) ٩٧/٦ ، وانظر: محمد بن على الشكاني ، فتح القدير ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م) ١٠٣/٤ .
(2) فتح القدير : مرجع سابق ، ١٠٤/٤ .
(3)التفسير الكبير : مرجع سابق ، ٤٧٦/٢٤ .
(4) سورة النساء : من الآية ٧٦ .
(5) أضواء البيان : مرجع سابق ، ٣٤٣/٦ .

٢. أن من أسباب الانحراف في العقيدة التقليد الأعمى للآخرين وتعطيل العقل والعناد والجهل.

الآثار التربوية في الجوانب التعليمية :

١. على المعلم أن يغرس فى نفوس المتعلمين العقيدة الصحيحة وأن يبعدهم عن الخرافات والأباطيل.

٢. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ الثقة بالنفس والاطمئنان وعدم الخوف لأن النفع والضر بيد الله وحده.

الخامس :أوامر إلهية من الله لرسوله

قال تعالي :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ بأنه أرسله ليبشر من أطاعه بالجنة وينذر من عصاه بالنار وأن لا يأبه بعنادهم وكفرهم ولا يحزن على عدم إيمانهم ، فما هو إلا نذير وبشير وعلى الله الحساب والعقاب [2] .

(1) سورة الفرقان : من الآية ٥٦ : ٥٩ .
(2) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٩٣/١٩ ، وانظر صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، ٣٦٧/٢ .

ونظير الآية قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]

قال تعالى : " قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا " أي قل أيها الرسول لقومك ، لا أطلب على هذا البلاغ وهذا الإنذار أجرا من أموالكم ، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالي ، لكن من أراد أن يتقرب إلى الله بالإنفاق في الجهاد والتطوعات وغيرها ويتخذ إلى ربه طريقاً يؤدى به إلى رحمته ونيل ثوابه بالعمل الصالح فليفعل ولا يتردد والمراد لا تصنعوا معي احساناً بأجر تدفعوه لي ، ولكن أطلبوا الأجر لأنفسكم بفعل الخير وعبادة الله وشكره"[2] .

قال تعالي : "وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ" .

أي اعتمد في جميع أمورك على الواحد الأحد ، والدائم الباقي الذي لا يموت أبداً فإنه كافيك وناصرك ومظهر دينك على سائر الأديان ."وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ"

أي نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء الكفار مما لا يليق به من الشركاء والأولاد (وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا) أي حسبك أن الله مطلع على أعمال العباد لا يخفي عليه شيء منها"[3] .

قال الإمام الفخر: "وهذه الكلمة (وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا) يراد بها المبالغة يقال : كفى بالعلم جمالاً ، وكفى بالأدب مالاً وهو بمعنى حسبك ، أي لا تحتاج معه إلى غيره لأنه خبير بأحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد"[1].

---

(1) سورة المائدة : من الآية ٦٧ .

(2) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١٢/٣ ، التفسير المنير ، ٩٣/١٩ ، وتفسير أبي السعود ، مرجع سابق ٢٢٦/٥ .

(3) صفوة التفاسير : ٣٦٧/٢ .

(ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ)

أي أن الله الخبير العليم بكل شيء وهو الذي أوجد السموات في ارتفاعها واتساعها والارضين السبع في كثافتها وامتدادها في ستة أيام بقوته وسلطانه [٢].

قال سعيد بن جبير "أنه إنما خلقها في ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها في لحظة تعليماً لخلقه الرفق والتثبيت"[٣].

(ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ) استواء يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل

(ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا) أي هو الرحمن ذو الجود والإحسان فاسأل عنه من هو خبير عارف بجلاله ورحمته [٤].

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا "

بمعنى : "إذا قيل للمشركين اسجدوا لربكم الرحمن الذي وسعت رحمته الأكوان استفهموا عنه استفهام من يجهله وهم عالمون به فزادهم هذا القول بعداً عن الدين ونفوراً منه"[٥].

يتبين مما ذكر أن الله سبحانه لما أمر الرسول ﷺ بأن يتوكل عليه ، وصف نفسه بأمور ثلاثة وهي :

الأول : أنه حي لا يموت "وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ" .

الثاني : أنه عالم بجميع المخلوقات "وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا".

---

(1) صفوة التفاسير : ٣٦٧/٢ .
(2) التفسير الكبير : ٤٧٨/٢٤ .
(3) صفوة التفاسير : ٣٦٧/٢ .
(4) صفوة التفاسير : ٣٦٨/٢ .
(5) صفوة التفاسير : ٣٦٨/٢ .

الثالث : أنه قادر علي جميع الممكنات وهو المراد بقوله " ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا " لأنه لما كان هو الخالق للسموات والأرض وما بينهما ولا خالق سواه ثبت أنه هو القادر على جميع وجوه المنافع ودفع المضار وأن النعم كلها من جهته فحينئذ لا يجوز التوكل إلا عليه ، أما الكفار فقابلوا الشكر والتوكل بالكفر والاعتماد على النفس فقال تعالى : "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ " أي إذا طلب منهم السجود وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسم (الرحمن) وإذا كنا لا نعرف الرحمن فكيف نسجد له ، وهذا شبيه بقول موسى لفرعون ﴿ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(1)

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(2)

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يعلم بأن الغاية من خلقه عبادة الله ﷻ وطاعته والائتمار بما أمر، الله والانتهاء عما نهى عنه .

٢. وفيه أن الهداية بيد الله ﷻ يهدي من يشاء ويضل من يشاء وما على الرسول إلا البلاغ المبين وعلى الله ﷻ الحساب والعقاب قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾(3)

فعلى الدعاة أن يعلموا بأن وظيفتهم مقتصرة على التبليغ (البشارة والنذارة).

(1) سورة الأعراف : من الآية ١٠٤ .
(2) سورة الشعراء : من الآية ٢٣ .
(3) سورة القصص : من الآية ٥٦.

٣. وفيه أنه على الداعية أن يبتغي في دعوته مرضاة الله ﷻ وأن لا يكون هدفه المال والجاه والمنصب (تحقيق أمر دنيوي).

٤. وفيه أنه على الداعية أن يستعمل ويوازن بين أسلوب الترغيب والترهيب فمن الناس من غلب عليه جانب الرجاء فيحتاج إلى أسلوب الترهيب ومنهم من غلب عليه جانب الخوف فيحتاج إلى أسلوب الترغيب.

٥. على الإنسان أن يتوكل على الله ﷻ في جميع أموره مع الأخذ بالأسباب لأن الأمور كلها صغيرها وكبيرها بيد الله ﷻ ولأن النفع والضر بيد الله ﷻ.

الآثار التربوية في العملية التعليمية:

١. على المتعلم أن يقصد من تعلمه مرضاة الله ﷻ والوصول إلى الحقيقة (إخلاص النية في العلم والعمل).

٢. رسالة المعلم هي التبليغ وبذل الجهد والطاقة في تعليم الأجيال وتوجيههم إلى ما يحقق لهم السعادة والنفع في الدنيا والنجاة والثواب في الآخرة.

٣. على المعلم أن يستخدم أساليب وطرق متنوعة في التدريس والتي من شأنها أبعاد السأم والملل عن المتعلمين.

٤. تقرير مبدأ الثواب والعقاب في الصف المدرسي.

٥. على المعلم أن يكون لين الجانب مع تلاميذه وأن يتعامل معهم بهدوء وأن يسمح لهم بالتعبير عما يريدون دون انفعال أو عصبية.

٦. على المعلم أن يكون هدفه في تبليغ علمه مرضاة الله ﷻ وتزكيه لعلمه بمعنى اخلاص النية في العلم والعمل، وأن لا يكون هدفه الأساسي المنصب والجاه والشهرة وتحصيل المال.

٧. على المتعلم التوكل على الله في جميع أموره مع الأخذ بجميع الأسباب والامكانات المؤدية إلى تحصيل العلم والتفوق والنجاح فيه .

٨. على المتعلم التدرج في طلب العلم من الأسهل إلى الأصعب فالعلم لا يؤخذ دفعة واحدة وإنما يحتاج إلى وقت جهد وصبر .

من معطيات الله وآلائه :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

(بروجاً) البروج منازل الكواكب السيارة سميت بالبروج لأنها تشبه القصور العالية وهي للكواكب كالمنازل للسكان وقيل هي الكواكب العظيمة .

(غراماً) : لازماً دائمً غير مفارق .

(الغرفة) : الدرجة الرفيعة في الجنة .

والمعنى :

"تمجد وتعظم الله الذي جعل في السماء تلك الكواكب العظام المنيرة وجعل فيها الشمس المتوهجة في النهار والقمر المضيء بالليل"[2] .

(وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً) : أي يخلق كل منهما الآخر ويتعاقبان فيأتي النهار بضيائه ثم يعقبه الليل بظلامه لمن أراد أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في بدائع صنعه أو أراد شكر الله على أفضاله ونعمائه[3] .

---

(1) سورة الفرقان : من الآية ٦١.
(2) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٩/٢ .
(3) صفوة التفاسير : مرجع سابق ٣٦٩/٢ .

قال ابن عباس ﷺ "جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فرط في عمل في أحدهما قضاه فى الآخر".

بمعنى من فاته شيء من الليل أن يعمله أدركه بالنهار ومن فاته شيء من النهار أدركه بالليل [1].

كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ عن النبى ﷺ قال : "من قام عن جزئه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل"[2].

وقد جاء في الحديث الصحيح : "إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل"[3].

ففي الليل دعة وسكون وهدوء يستدعي التذكر، وفي النهار حركة وتصرف وانشغال قد يشغل عن التذكر أو يكون سبباً لتذكر ما مرَّ من الليل بالنوم فيستدرك المؤمن ما فاته في أحدهما من الخير في وقت آخر فهما وقتان للمتذكرين والشاكرين، والله يقبل عمل الليل وعمل النهار فهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ثم أن سكون الليل والتصرف بالنهار نعمة تستحق الشكر [4].

قال تعالى :

﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[5]

(1) التفسير الكبير : مرجع سابق ، ٤٨٠/٤ ، وانظر محمد بن يوسف اطفيش ، تيسير التفسير (سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة ، ١٩٨٧م) ، ٢١٠/٩ .
(2) محيى الدين النووي : رياض الصالحين ، (مكتبة أبو بكر أيوب ، كانو – نيجيريا) ص ٢٩٦ .
(3) أخرجه الإمام مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب التوبة ، برقم ٢٧٥٩ ، ٢١١٣/٣ .
(4) التفسير المنير : مرجع سابق ، ٩٩/١٩ .
(5) سورة القصص : من الآية ٧٣.

السادس : صفات عباد الرحمن وجزاؤهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴾[1]

(1) سورة الفرقان : الآيات ٦٣ : ٧٧.

لما ذكر الله تعالي جهالات المشركين وطعنهم في القرآن والنبوة ذكر عباده المؤمنين أيضاً وذكر صفاتهم ، وأضافهم إلى عبوديته تشريفاً لهم ، كما قال :﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[1] فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره فهو الذي يستحق اسم العبودية ، ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالي : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾[2]

يعني في عدم الاعتبار[3] ، وتعرضت هذه الآيات الصفات التي يتصف بها أولئك الذين استحقوا أن ينسبوا إلى الله وأن يحسبوا في عباده ، أما غيرهم الذين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا ، وما الرحمن ؟ هؤلاء ليسوا من عباد الله ولن يكونوا من عباد الرحمن مادام هذا حالهم .

أولاً : صفاتهم

(أ): حالهم مع ربهم :

تهجدهم بالليل :

قال تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[4]

المعنى الإجمالي :

أي أن سيرتهم في الليل كسيرتهم في النهار ، فنهارهم خير نهار ، وليلهم خير ليل ، فإذا أمسوا أو أدركوا الليل باتوا ساجدين قائمين لربهم يصلون بعض الليل أو أكثره طائعين عابدين[5] ، كما قال تعالي :

---

(1) سورة الإسراء : من الآية ١ .
(2) سورة الأعراف : من الآية ١٧٩ .
(3) الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ٤٦/١٣ .
(4) سورة الفرقان : من الآية ٦٤ .
(5) لتفسير المنير : مرجع سابق ، ١٠٧/١٩ .

﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[1]

وقال تعالي :

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾[2]

وقال تعالي :

﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ﴾[3]

"فأما دليلهم فهو التقوى ومراقبة الله والشعور بجلاله والخوف من عذابه والتعبير يبرز من الصلاة والسجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمن في جنح الليل والناس نيام فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجداً وقياما ، ويتوجهون لربهم وحده ويقومون له وحده ويسجدون له وحده وهؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع مشغولون بالتوجه إلى ربهم ، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به ينام الناس وهم قائمون ساجدون ، ويخلد الناس إلى النوم وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام"[4]

عن أبي هريرة ﷺ قال النبى ﷺ قال : "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل"[5] .

عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله ﷺ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه الصلاة والسلام ، أفلا أكون عبدا شكوراً"[1] .

---

(1) سورة الذاريات : من الآية ١٧ : ١٨ .
(2) سورة السجدة : من الآية ١٦ .
(3) سورة الزمر : من الآية ٩ .
(4) فى ظلال القرآن : مرجع سابق ، ٢٥٧٨/٥ .
(5) أخرجه الإمام مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الصيام ، باب فضل صوم المحرم ، برقم ١١٦٣ ، ٨٢/١ .

وأنشدوا في صفة الأولياء :

امنع جفونك أن تذوق مناماً ... واذر الدموع على الخدود سجاماً

وأعلم بأنك ميت ومحاسب ... يا من على سخط الجليل اقاما

لله قوم أخلصوا في حبه ... فرضي بهم واختصم خداما

قوم إذا جن الظلام عليهم ... باتوا هنالك سجداً قياما[2]

خوفهم من عذاب الله :

قال تعالي : "وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ "

المعنى الإجمالي :

أي يدعون ربهم أن ينجيهم من عذاب النار ويبتهلون إليه أن يدفع عنهم عذابها[3] .

قال تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[4]

فهم في طاعتهم مشفقون وجلون خائفون من عذابه [5] .

يقول السيد قطب : "وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم تمتلئ قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم ، وهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم ، ولا يطمئنهم أنه يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، فهم لما يخالج قلوبهم من التقوى

(1) فتح الباري : كتاب تفسير القرآن ، برقم ٤٨٣٧ ، ٧٣١/٨ ، وانظر أيضا في كتاب التهجد باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم ، برقم ١١٣٠ ، ١٧/٣ ، وفي كتاب الرقاق ، باب الصبر على محارم الله ، ٣٦٩/١١ .
(2) الجامع لأحكام القرآن ، مرجع سابق ، ٤٨/١٣ .
(3) سفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٦٩/٢ .
(4) سورة المؤمنون : من الآية ٦٠ .
(5) فتح القدير : مرجع سابق ، ١٠٧/٤ .

يستقلون عملهم وعبادتهم ، ولا يرون فيها ضماناً ولا أماناً من النار أن لم يتداركهم فضل الله وسماحته وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم"[1] .

ثم ذكر الله تعالي أن علة سؤالهم ودعائهم شيئان :

الأول : (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) .

(كان غراماً) : فيه خمسة أقوال تتقارب معانيها[2] .

١. دائماً رواه أبو سعيد الخدري .

٢. موجعاً رواه الضحاك عن ابن عباس .

٣. ملجّا قال ابن السائب .

٤. هلاكاً قاله أبو عبيدة .

٥. أن الغرام في اللغة : أشد العذاب .

والأظهر : أن معنى قوله (كان غراماً) أي كان لازماً دائماً غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته ، ويقال فلان مغرم بكذا أي لازم له مولع به"

الثاني : "أنها ساءت مستقراً ومقاماً" ، أي بئس المنزل منظراً تستقر فيه وبئس المقيل مقاما[3] .

لا يدعون مع الله آلها آخر

قال تعالي : "وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ"

سبب النزول :

(1) في ظلال القرآن : مرجع سابق ، ٢٥٧٨/٥ .
(2) جمال الدين بن الجوزي ، زاد الميسر ، ط٣ (بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٤م) ١٠٢/٦ .
(3) تفسير القرآن العظيم : مرجع سابق ، ٣١٤/٣ .

أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال "أن تجعل لله نداً ، وهو خلقك ، قلت ثم أي ؟ قال "أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي ، قال : أن تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها "وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ " [1] .

وأخرج الشيخان عن ابن عباس : أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا .. ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا : "أن الذى تقول وتدعوا إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؟ فنزلت "وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ " إلى قوله غفوراً رحيماً ونزل ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[2]

النسخ :

قال تعالي : "وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ " نسخها بقوله "وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ..." [3]

المعنى الإجمالي :

أي والذين لا يعبدون مع الله الهاً آخر ، فيجعلون مع الله في عبادتهم شريكاً آخر وإنما يخلصون له الطاعة والعبادة"[4] .

قال تعالي :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾[5]

---

(1) المقبول من أسباب النزول : مرجع سابق ، ص ٥٠٩ ، وانظر الواحدي ، أسباب النزول ، ط٢ (مصر ، شركة مكتبة مصطفي الحلبى وأولاده ، ١٩٦٨م) ، ص ١٩٢ ، وأخرجه البخارى ، كتاب التفسير ، ١٤/٦ – ١٥ .
(2) سورة الزمر : من الآية ٥٣ .
(3) انظر ابن حزم الأندلسي ، الناسخ والمنسوخ ، ط ١ ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦) ص ٤٨ .
(4) التفسير المنير : ١٠٩/١٩ ، وانظر تيسير التفسير ، ٢١٥/٩ .
(5) سورة النساء : من الآية ١١٦ .

وقيل : لا يدعون الهوى الهاً ، ولا يذلون أنفسهم بالمعاصي فيكون قتلاً لهم" [1]

يخرون على آيات الله سامعين مبصرين :

قال تعالي :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾[2]

المعنى الإجمالي :

أي والذين إذا ذكروا بالآيات لم يعرضوا عنها بل سمعوها بآذان واعية وقلوب وجلة[3] .

قال تعالي : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4]

لا كحال الكفار المشركين فإنهم إذا ذكروا بآيات الله خروا صمّا وعمياناً كحال من لا يحب أن يري شيئاً فيجعل وجهه على الأرض ، فاستعير الخرور لشدة الكراهية والتباعد بحيث أن حالهم عند سماع القرآن كحال الذي يخرّ إلي الأرض لئلا يري ما يكره بحيث لم يبقى له شيء من التقوم والنهوض فتلك حالة هي غاية في نفي إمكان القبول [5] .

قال صاحب "الكشاف" قوله "لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا " ليس بنفي للخرور وإنما هو إثبات له ، ونفي للصم والعمى كما يقال لا يلقاني زيد مُسلماً ، هو نفي

(1) الجامع لأحكام القرآن : مرجع سابق ، ٥١/١٣ .
(2) سورة الفرقان : من الآية ٧٣ .
(3) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٧١/٢ .
(4) سورة الأنفال : من الآية ٢ .
(5) التحرير والتنوير : مرجع سابق ، ٨١٠/١٨ .

للسلام لا للقاء ، والمعنى أنهم إذ ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها ، وأقبلوا على المذكر بها ، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية ، مبصرون بعيون راعية ، لا كالذين يذكرون بها فترَهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم"[1] .

"وقيل أن هؤلاء الكفرة المخالفين لعباد الرحمن إذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صماً وعمياناً ، أي لا يسمعون ما فيها من الحق ولا يبصرونه حتى كأنهم لم يسمعوها أصلاً وهذا المعنى جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله .

قال تعالي : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2]

والظاهر أن معنى خرور الكفار على الآيات في حال كونهم صماً وعمياناً هو اكبابهم على انكارها والتكذيب بها خلافاً لما ذكره الزمخشري في الكشاف"[3] .

يسألون ربهم السكن العائلي :

قال تعالي : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[4]

(قرة العين) : أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرّت عينه باهله وعياله ، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت لها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرّية محافظون على الطاعة معاونون له علي وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد

(1) الكشاف : مرجع سابق ، ٢٨٧/٣ .
(2) سورة لقمان : من الآية ٧ .
(3) أضواء البيان : مرجع سابق ، ٣٥٨/٦ .
(4) سورة الفرقان : من الآية ٧٤ .

ولا إلي ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى، فذلك حين قرّة العين وسكون النفس[1].

قال الحسن : قرة الأعين في الدنيا وهو أن يري العبد من زوجته ومن أخيه طاعة الله تعالي وقال : والله ما شيء أقر لعين المسلم من أن يري ولده أو والده أو أخاه أو حميماً مطيعاً لله تعالي[2].

المعنى الإجمالي :

أن عباد الرحمن يبتهلون إلى ربهم داعين الله ﷻ أن يرزقهم زوجات صالحات وأولاد مؤمنين صالحين مهديين للإسلام يعملون الخير ويبتعدون عن الشر تقربهم أعينهم وتسر بهم نفوسهم فإن المؤمن – إذا رأى من يعمل بطاعة الله قرت عينه وسر قلبه في الدنيا والآخرة[3]

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وعلم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له"[4]

رجاؤهم ربهم حتى يكونوا أئمة للمتقين

"وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا"

فيه قولان ، القول الأول : اجعلنا أئمة يقتدى بنا ، قاله ابن عباس .

وقال غيره : هذا من الواحد الذي يراد به الجمع كقوله :

(1) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، مرجع سابق ، ٥٥/١٣ – ٥٦ .
(2) أحمد الرازي الجصاص : أحكام القرآن ، ط ١ (بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٣) ٥٠٦/٣
(3) التفسير المنير : مرجع سابق ١١٢/١٩ ، تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ٣١٨/٣ .
(4) أخرجه الإمام مسلم في الجامع الصحيح ، كتاب الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، برقم ١٦٣١، ١٢٥٥/٢ .

﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]

دقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾[2]

والقول الثاني : اجعلنا مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم ، قاله مجاهد ، فعلي هذا يكون الكلام من القلوب ، فيكون المعنى ، واجعل المتقين لنا إماماً [3] .

قال الحسن : "واجعلنا للمتقين إماماً" نأتم بمن قبلنا حتى يأتم بنا من بعدنا" [4]

وبذلك أحبوا أن تتصل عبادتهم بعبادة زوجاتهم وذرياتهم وأن يكون هداهم متعدياً إلى غيرهم بالنفع فهم دعاة خير وبر ، وذلك أكثر ثواباً وأحسن مآبا [5].

ب- حالهم مع أنفسهم

اعتدالهم في الإنفاق دون إسراف أو تقتير

قال تعالي :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[6]

وفي معني الكلام قولان :

أحدهما :أن الإسراف : مجاوزة الحد في النفقة ، والإقتار : التقصير عما لابد منه ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب (كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى) .

---

(1) سورة الشعراء : من الآية ١٦ .
(2) سورة الشعراء : من الآية ٧٧ .
(3) زاد المسير : مرجع سابق ، ١١١/٦ .
(4) أحكام القرآن للجصاص : مرجع سابق ، ٥٠٦/٣ .
(5) التفسير المنير : مرجع سابق ، ١١٢/١٩ ، تفسير القرآن العظيم ، ٣١٨/٣ .
(6) سورة الفرقان : من الآية ٦٧ .

عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : (إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت)[1] . (من فقه الرجل قصده في معيشته) [2]

والثاني : أن الإسراف : الإنفاق في معصية الله وإن قل ، والإقتار منع حق الله تعالي ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وآخرين[3] .

والمعنى الأظهر : أن من أوصاف عباد الرحمن أنهم ليسوا مبذرين في إنفاقهم في المطاعم والمشارب والملابس ، ولا مقصرين ومضيقين بحيث يصبحون بخلاء ، وإنفاقهم وسطا معتدلا بين الإسراف والتقتير ، فهم يضعون النفقات مواضعها الصالحة كما أمرهم الله [4] .

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[5]

ولا تجعل يدك تؤدي معني قوله هنا " وَلَمْ يَقْتُرُواْ " ولا تبسطها كل البسط تؤدي معنى قوله " لَمْ يُسْرِفُواْ "

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[6]

فعباد الرحمن في حياتهم نموذج القصد والاعتدال والتوازن وهذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الأفراد والجماعات ويتجه إليها في التربية والتشريع يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال . [1]

---

(1) أخرجه ابن ماجة في السنن : كتاب الأطعمة ، باب الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت ، برقم ٣٣٥٢ جـ٢/١١١٢
(2) أخرجه الإمام أحمد عن أبي الدرداء في المسند ، برقم ٢١٥٩٢ ، جـ ١٦/٦٤ .
(3) زاد المسير : مرجع سابق ، ٦/١٠٢ – ١٠٣ .
(4) صفوة التفاسير ، مرجع سابق ، ١٩/٣٧٠ ، وأنظر عبد الحميد كشك ، في رحاب التفسير (المكتب المصري الحديث ، ١٩٨٨م) ، ٤/٣٢٩٥ .
(5) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٥/٢٥٧٨ .
(6) سورة الإسراء : من الآية ٢٧ .

والمسلم مع اعترف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة ليس حرا في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء ، كما هو الحال عند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها في كل ميدان إنما هو مقيد بالتوسط في الأمرين ، الإسراف والتقتير ، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع ، والتقتير مثله حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة من حوله فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية والإسراف أزمات ومثله إطلاقها بغير حساب ، ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق .[2]

الابتعاد عن القتل العمد

قال تعالي : ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[3]

سبب النزول : تقدم ص ٤١

ناسخة أم منسوخة : [4]

لعلماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية قولان :

القول الأول : أنها منسوخة وفي ناسخها ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه قوله تعالي : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾[5]
قاله ابن عباس ، وكان يقول : هذه مكية ، والتي في النساء مدنية .

الثاني : أنها نسخت بقوله :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[6]

---

(1) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٨/٥ .
(2) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٨/٥ – ٢٥٧٩ .
(3) سورة الفرقان : من الآية ٦٨ .
(4) زاد المسير : مرجع سابق ١٠٦/٦ ، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ، مرجع سابق ص ٤٨ وانظر : جمال الدين بن الجوزي . نواسخ القرآن : ط١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥م) ص ٢٠٢ - ٢٠٣
(5) سورة النساء : من الآية ٩٣ .
(6) سورة النساء : من الآية ١١٦ .

الثالث : أن الأولى نسخت بالثانية وهي قوله " إِلَّا مَن تَابَ "

والقول الثاني : أنها محكمة : والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا وفساد القول الأول ظاهر ، لأن القتل لا يوجب تخليدا عند الأكثرين ، والشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه والاستثناء ليس بنسخ .

المعنى الإجمالي :

أي لا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها إلا بما يحق أن تقتل به النفوس من كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو القتل قصاصا . (1)

ووصف النفس بـ "ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ " بيان لحرمة النفس التي تقررت من عهد آدم فيما حكى الله من محاورة ولدي آدم بقوله "قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ " فتقرر تحريم قتل النفس من أقدم أزمان البشر ولم يجهله أحد من ذرية آدم ، فذلك معنى وصف النفس بالموصول في قوله "ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ " وكان قتل النفس متفشيا في العرب بالعداوات والغارات وبالوأد في كثير من القبائل بناتهم ، وبالقتل لفرط الغيرة"(2) .

"إِلَّا بِٱلْحَقِّ" كالكفر بعد الإيمان والزنى بعد الإحصان وقتل النفس بغير الحق ويكون القتل بحكم الحاكم أو القاضي لا برأي شخصي(3) .

عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) (4) .

---

(1) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٧٠/٢ ، وأنظر : روح المعاني ، مرجع سابق ٤٧/٤ .
(2) التحرير والتنوير : مرجع سابق ٧٣/١٨ .
(3) التفسير المنير : مرجع سابق ١٠٩/١٩ ، صفوة التفاسير ٣٧٠/٢ .
(4) فتح الباري : مرجع سابق ، كتاب الديات ، باب قوله تعالي " إن النفس بالنفس ... " برقم ٦٨٧٨ ، جـ ١٢ ، ص ٢٤٩ ، وأخرجه الترمذي في الجامع كتاب الديات ، باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم ، برقم ١٤٠٢ ، ١٢/٤ – ١٣ قال أبو عيسى حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح .

والتحرج من قتل النفس إلا بالحق مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة التي تحترم فيها الحياة الإنسانية ويقام لها وزن ، وحياة الغابات والكهوف التي لا يأمن فيها على نفس أحد ولا يطمئن إلى عمل أو بناء .(1)

ج. حالهم مع مجتمعهم :

التواضع :

قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾(2)

" وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ " الذين أخلصوا العبودية والعبادة لله ، الذين هم أحق بهذا الاسم وأن يشرفوا به ، وأضافهم للرحمن تفضيلا لهم وتشريفا (3).

المعنى الإجمالي :

"إن من صفات عباد الرحمن التواضع ، يمشون في سكينة ووقار من غير تجبر واستكبار ، لا يضربون بأقدامهم أشرا ولا بطرا ولا يتبخترون في مشيتهم ، يمشون في تؤده ويعاملون الناس بلين ، لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا كما قال تعالي حاكيا وصية لقمان لابنه:

﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾(4)

وليس معنى "يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا" أنهم يمشون متهاونين منكسي الرؤس متداعي الأركان ، متهاوي البنيان ، كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى

(1) فى ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٧/١٩ .
(2) سورة الفرقان : من الآية ٦٣ .
(3) تيسير التفسير : مرجع سابق ٢١٠/٩ .
(4) سورة لقمان : من الآية ١٨ .

والصلاح ، وإنما بعزة وأنفة هي عزة المؤمن المتواضع لله وحده ، وهذا رسول الله ﷺ كان إذا مشى تكفأ تكفيا وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها.

قال أبو هريرة : (ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له ، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث)

الحلم والكلام الطيب

قال تعالي : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

أي إذا سفه عليهم الجاهل بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا ، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما وكما قال تعالي : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ ﴾[2]

قال الحسن : لا يجهلون على أحد ، وإن جهل عليهم حلموا . [3]

فهم في حدهم وقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة ، لا يتلفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء ، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم عن مهاترة الطائشين .

"وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا " لا عن ضعف ولكن عن ترفع ولا عن عجز إنما عن استعلاء ، وعن صيانة للوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع[1] .

(1) سورة الفرقان : من الآية ٦٣ .
(2) سورة القصص : من الآية ٥٥ .
(3) صفوة التفاسير : مرجع سابق ، ٣٦٩/٢ .

اظهار لا يزنون ".... ولا يزنون"

المعنى الإجمالي :

إن من صفاتهم أنهم لا يرتكبون جريمة الزنا والتى هي من أفحش الجرائم [٢].

وذلك لما للزنا من خطورة على الفرد والمجتمع وما يؤديه الزنا من انهيار القيم والأخلاق ، واختلاط الأنساب والأعراض ، ولما فيه من انتشار الفساد والانحلال الخلقي ولما فيه من الدمار سواء على النفوس ، والمجتمع ونشر الأمراض الفتاكة ، ولما فيه من اعتداء على حرمات الإسلام والكثير من المفاسد التي نعلمها والتي لا نعلمها .

قال تعالي : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٣]

فأخبر تعالي عن فحشه في نفسه وهو القبيح الذي قد تناها قبحه حتى استقر فحشه في العقول وأنه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وسبيل عذاب في الآخرة وخزي [٤]

والتحرج من الزنا هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة التي يشعر فيها الإنسان بارتفاعه عن الحس الحيواني الغليظ ، ويحس بأنه لالتقائه بالجنس الآخر هدفاً أسمى من إرواء سعار اللحم والدم والحياة الهابطة الغليظة التى لا هم للذكران والإناث فيها إلا إرضاء ذلك السعار [٥] .

---

(1) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٨/٥ .
(2) صفوة التفاسير : ٣٧٠/٢ .
(3) سورة الإسراء : من الآية ٣٢ .
(4) في رحاب التفسير : مرجع سابق ٣٣١٤/٤ .
(5) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٧٩/٥ .

صادقون لا يشهدون الزور :

قال تعالي :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾[1]

المعنى الإجمالي :

أي لا يشهدون الشهادة الباطلة وشهادة الزور التي فيها تضييع لحقوق الناس[2]

وقيل لا يحضرون مجالس الكذب والفحش والكفر[3] .

وعدم شهادة الزور قد تكون على ظاهر اللفظ ومعناه القريب ، أنهم لا يؤدون شهادة زور ، لما في ذلك من تضييع الحقوق ، والإعانة على الظلم وقد يكون معناها الفرار من مجرد الوجود في مجلس أو مجال يقع فيه الزور لكل صنوفه وألوانه ترفعاً فهم عن شهود مثل هذه المجالس والمجالات ، وهو أبلغ وأوقع ، وهم كذلك يصونون أنفسهم واهتماماتهم عن اللغو والهذر "وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما" لا يشغلون أنفسهم به ولا يلوثونها بسماعة ، إنما يكرمونها عن ملابسته ورؤيته والمشاركة فيه فللمؤمن ما يشغله عن اللغو والهذر ، وليس لديه من الفراغ والبطالة ما يدفعه إلى الشغل باللغو الفارغ ، وهو من عقيدته ومن دعوته ومن تكاليفها في نفسه وفي الحياة كلها في شغل شاغل[4] .

قال ابن كثير : والأظهر من السياق أن المراد لا يحضرون الزور ، وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا فيه بشيء ونظير الآية قوله تعالي : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾[5]

---

(1) سورة الفرقان : من الآية ٧٢ .
(2) صفوة التفاسير : ٣٧١/٢ .
(3) أنظر : نصر بن محمد السمرقندي ، بحر العلوم ، ط ١ (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م) ٤٦٧/٢ .
(4) في ظلال القرآن : مرجع سابق ٢٥٨٠/٥ ، وانظر تفسير البيضاوي ، مرجع سابق ٢٢٩/٤ .
(5) سورة القصص : من الآية ٥٥ .

ومما يدلنا على فداحة هذه المعصية أن رسول الله ﷺ ساقها بعد أكبر كبيرتين في سلم المعاصي .

كما ورد في الصحيحين عن أبي بكر قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثاً قلنا : بلي ، يا رسول الله ، قال : الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت [1].

وشهادة الزور إلى جانب حرمتها ، تزري بالرجولة ، وتقدح في الأمانة وتخل بالشرف ومن ثم لا يمكن أن تكون من صفات المؤمنين ولهذا نفى الله عن عبادة المصطفين الأخيار هذه الصفة فيما نفى عنهم من كبائر [2].

ثانياً : جزاء عباد الرحمن

قال تعالي :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[3]

المعنى الإجمالي :

(الغرفة) : البيت المعتلي يصعد إليه بدرج وهو أعز منزلا من البيت الأرضي والتعريف في الغرفة تعريف الجنس فيستوي منه المفرد والجمع مثل قوله تعالي : "وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ" فالمعنى يجزون الغرف ، أي من الجنة ، قال تعالي :

﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[4]

---

(1) أخرجه مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها ، برقم ١٤٣ – ١٤٤ ، جـ ١ ، ص ٩١ .
(2) أنظر : د. محمد على الهاشمي ، شخصية المسلم ، ط ٢ (بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ١٩٨٦) ص ٢١٣ .
(3) سورة الفرقان : من الآية ٧٥ .
(4) سورة سبأ : من الآية ٣٧ .

والمعنى :

أن أولئك المتصفون بالأوصاف الجليلة السامية ينالون الدرجات العليا بصبرهم على أمر الله وطاعتهم له سبحانه "وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا "

أي يتلقون بالتحية والسلام من الملائكة الكرام "خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ " أي مقيمين في ذلك النعيم لا يموتون ولا يخرجون من الجنة لأنها دار الخلود "حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا " أي ما أحسنها مقرا وأطيبها منزلا لمن أتقى الله[1] .

وفي قوله تعالي :

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴾[2]

هذه الآية الكريمة فيها وعد بالمنافع والتعظيم .

أما المنافع فهى قوله : "أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟"[3]

وثانيها التعظيم كما في قوله تعالي :" وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا"

"أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟" الصبر هنا يعم كل نوع فيدخل فيه صبرهم على مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالي ، وعلى مشاق الطاعات ، وعلى مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالي ، وعلى مشاق الطاعات وعلى مشاق ترك الشهوات ، وعلى مشاق أذى المشركين ، وعلى مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس[4].

قوله تعالي : "خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا "

(1) صفوة التفاسير : ٣٧١/٢ ، وأنظر تفسير القرآن العظيم ، ٣١٩/٣ .
(2) سورة الفرقان : من الآية ٧٥ .
(3) التفسير الكبير : ٤٨٧/٢٤ – ٤٨٨ .
(4) التفسير الكبير ٤٨٨/٢٤ .

فالمراد أنه سبحانه لما وعد بالمنافع أولاً وبالتعظيم ثانياً ، بين أن من صفتها الدوام وهو المراد بقوله : "خَٰلِدِينَ فِيهَا" ومن صفتها الخلوص أيضاً وهو المراد من قوله "مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا "[1].

الآثار التربوية :

١. على الإنسان أن يتحلى بخلق التواضع هذا الخلق الإسلامي الرفيع الذي يدفع صاحبه إلى التحلى بالأخلاق الكريمة والبعد عن الأخلاق المذمومة . فمن تواضع لله ﷻ رفعه الله .

٢. على المؤمن أن يكون مثلا أعلى وقدوة صالحة في كل أفعاله وتصرفاته وأن يبتعد عن الأخلاق المذمومة منها الكبر وأن يمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة فيها وقار وسكينة وفيها جد وقوة فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية .

٣. على الإنسان أن يتحلى بالحلم وأن يبتعد عن سفاسف الأمور وأن يهتم بمعالي الأمور التي تتناسب مع مستواه الخلقي الرفيع وأن لا يلتفت إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء والبعد عن الجدل والمهاترة مع المهاترين الطائشين .

٤. على الإنسان دائما أن يتقي الله في جميع أموره وأقواله وأفعاله وتصرفاته وأن يعلم بأن الله ﷻ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وأن يجعل من جوارحه رقيبا على أفعاله وتصرفاته .

٥. على الإنسان أن يداوم باستمرار على فعل الطاعات وأداء العبادات والواجبات على أكمل وجه ، وأن يداوم على قيام الليل ، والسجود لله وحده ، لما فيه من تطهير للنفس

(1) التفسير الكبير ٤٨٨/٢٤ .

ورفع للموازين يوم القيامة ، والقيام بين يدي الله على حقيقة التقوى والصدق والصلاح .

٦. على الإنسان أن يتوجه دائما بالدعاء والتضرع إلى الله ﷻ قال تعالي :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1]

٧. على الإنسان أن يعلم بأن الجزاء من جنس العمل ، فكل صغيرة وكبيرة يعلمها الله ﷻ ويحاسب عليها الإنسان ، فإن كانت طاعات فله الجنة حسنت مستقرا ومقاما وإن كانت معاصي فله جهنم ساءت مستقرا ومقاما والعياذ بالله .

٨. وفيه أن توحيد الله ﷻ أساس العقيدة ومفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة فى الاعتقاد وبين الغموض والتعقيد الذى لا يقوم على أساسه نظام صالح للحياة .

٩. التحرج من قتل النفس إلا بالحق مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة وبين حياة الغابات التي لا يأمن ولا يطمئن فيها الإنسان على نفسه .

١٠. التحرج من الزنا الذى هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة الكريمة العفيفة الطاهرة ، وبين الحياة القذرة القائمة على حب الشهوات والملذات والانغماس في المحرمات . فلينظر الإنسان ماذا يختار من هذه الطرق وسيكون الجزاء على حسب الطريق الذي يختار .

١١. أن يعلم الإنسان بأن الزنا من أكبر الجرائم لما فيه من الإضرار الجسيمة على الفرد والمجتمع ولما فيه من انتشار الفساد والانحلال الخلقي في المجتمعات ولما فيه من

(1) سورة غافر : من الآية ٦٠ .

اختلاط الإنساب ولما فيه من انتشار الأمراض الفتاكة . فالإسلام يحرم كل ما له تأثيرات سلبية على الفرد والمجتمع .

١٢. وفيه أن أبواب التوبة مفتوحة في أي وقت وزمان فعلى الإنسان إذا وقع في ذنب أو معصية أن يتوب إلى الله ﷻ وأن يحقق شروط التوبة وذلك بأن يتوب توبة نصوحا والندم على فعل المعاصي والعزم على تركها وعدم العودة إليها . قال تعالي ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾(١)

وقوله تعالي :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾(٢)

١٣. يجب أن يكون الإنسان في حياته نموذجا للقصد والاعتدال والتوازن والبعد عن الإسراف والتقتير فالإسراف فيه مفسدة للنفس والمال والمجتمع ، والتقتير حبس للمال عن انتفاع صاحبه به وانتفاع الجماعة ، إذن فعلي الإنسان أن يكون وسطا بين الإسراف والتقتير في معاشه وأن يعلم بأن للفقراء حق في أمواله فعليه أن يستغل أمواله فى وجوه الخير والبر والإحسان والطاعات .

١٤. أن يعلم الإنسان أن الأعمال الصالحة سبب من أسباب تبديل السيئات حسنات ، لذلك على الإنسان أن يبادر دائما وباستمرار إلى فعل الطاعات والابتعاد عن المعاصي والآثام . قال تعالي : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ ﴾(٣)

(1) سورة الفرقان : الآية ٧١ .
(2) سورة الزمر : من الآية ٥٣ .
(3) سورة الفرقان : من الآية ٧٠ .

١٥. على الإنسان أن يقتصد أيضا في كلامه فلا يتكلم إلا عند الحاجة وأن يتكلم في المواضع التي تحتاج إلى كلام وأن يلتزم الصمت في المواضع والأماكن التى تحتاج إلى صمت .

١٦. على الإنسان أن يبتعد عن شهادة وقول الزور والأماكن التى يقع فيها الزور بكل صنوفه وألوانه لما فيه من تضييع الحقوق والإعانة على الظلم والفساد .

١٧. على الإنسان أن يصون نفسه واهتمامه عن اللغو والهذر وأن لا يشغل نفسه بالتفاهات .

١٨. على الإنسان أن يتعظ ويعتبر عندما تتلى عليه هذه الآيات الكريمة ، وأن تكون حافزا ودافعا له علي العمل والجد وفعل الطاعات والبعد عن المعاصي ، والإسراع في التوبة إذا ألم بذنب أو معصية .

١٩. على الإنسان أن يتحلى بخلق الصبر وأن يعلم بأن الله مع الصابرين وأن الله لا يضيع أجر المحسنين .

٢٠. على الإنسان أن يختار الزوجة الصالحة تعينه على الطاعة وفعل الخير وتربي أبنائه على التقوى والصلاح والبر.

٢١. على كل من الزوج والزوجة الاهتمام بتربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صالحة مبنية على أساس عقدي متين ، والدعاء لهم بالتوفيق والسداد والخير.

٢٢. وفيه أن الذرية الصالحة والزوجة الصالحة سبب لدخول الجنة وبقاء الذكر الحسن والجميل وبقاء الأجر والثواب كما في الحديث الشريف (إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعوا له) .

٢٣. الجزاء من جنس العمل .

تربويا :

١. على طالب العلم أن يتحلى بخلق التواضع ذلك الخلق الإسلامي الرفيع الذي يرفع من قدر صاحبه في الدنيا والآخرة فمن تواضع لله رفعه الله قال الإمام على : أن المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علما والتواضع يأخذ العلم من العلماء .

٢. على المعلم أن يكون مثلا أعلى وقدوة لتلاميذه في أقواله وأفعاله وتصرفاته.

٣. على المعلم أن يكون حليما مع تلاميذه وأن يعاملهم بلطف ولين ويسمح لهم بالتعبير عما يريدونه بحرية ، والتعرف على مشاكل التلاميذ وإيجاد الحلول المناسبة وعلاجها بطريقة سليمة وحكيمة .

٤. على المتعلم أن يبتعد عن سفاسف الأمور والاهتمام بمعاليها وأن لا يلتفت إلى السفهاء وأن يبتعد عن الجدل والمهاترة .

٥. على المتعلم أن يتسلح بالعلم والمعرفة والحجج والبراهين الدالة على صدق ما يقول وحتى يكون قادراً على مواجهة الخصم وإقناعه وإبطال حجة الخصم .

٦. على المتعلم أن يتحلى بخلق الصبر فالعلم يحتاج إلى الصبر والمصابرة والمداومة على الجد والاجتهاد والعمل .

٧. على المعلم أن يغرس في نفوس التلاميذ حب العلم ، وإخلاص النية في العلم والعمل

٨. على المعلم أن يعدل بين طلابه وأن يعطى كل واحد العلامة والنتيجة التي يستحقها

٩. على المعلم أن يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ فكل طالب له قدراته وإمكاناته الخاصة به .

١٠. على المعلم أن يغرس في نفوس المتعلمين العقيدة الصحيحة والبعد عن الرذائل والأخلاق المذمومة والتحلي بالفضائل والأخلاق الحميدة .

١١. تربية المتعلم على التساؤل الهادف .

١٢. على المتعلم أن يقوم بانتقاء الألفاظ للتعبير عما يريد وأن يكون كلامه مختصراً يؤدي المعنى والفائدة .

١٣. على المتعلم أن يصون نفسه واهتمامه عن اللغو والهذر وأن لا يشغل نفسه بالتفاهات والأمور التي لا فائدة ولا طائل تحتها .

المصادر والمراجع

١. الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ . تفسير القرآن العظيم .- ط٢.- بيروت : دار الجيل ، ١٩٠٠م .

٢. الإمام أحمد بن حنبل ٢٤٢هـ . المسند .- شرحه ووضع فهارسه أحمد الزين .- ط ١ .- القاهرة : دار الحديث ، ١٩٩٥م .

٣. الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني . فتح الباري بشرح صحيح البخاري .- المنصورة : مكتبة الإيمان .

٤. ابن حزم الأندلسي . الناسخ والمنسوخ في القرآن .- تحقيق د. عبد الغفار سليمان البذاري .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م

٥. أحمد بن محمد إسماعيل النحاس ٣٣٨هـ . إعراب القرآن .- تحقيق د. زهير غازي زاهد.- بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٨م .

٦. الإمام أحمد الرازي الجصاص ٣٧٠هـ . أحكام القرآن .- مراجعة صدقي محمد جميل.- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٣م .

٧. جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي ٥٧٩هـ . زاد المسير في علم التفسير.- ط٣.- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٤م .

٨. جمال الدين بن الجوزي . نواسخ القرآن .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٨٥م.

٩. سيد قطب . فى ظلال القرآن .- ط ٩ .- القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٠م .

١٠. شهاب الدين السيد محمود الألوسي ١٢٧٠هـ . روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثانى .- دار الفكر للنشر والطباعة .

١١. صديق حسن خان ١٣٠٧هـ . فتح البيان في مقاصد القرآن .- القاهرة : مطبعة العاصمة ١٩٧٦م .

١٢. الإمام عبد الله الشيرازي البيضاوي ٧٩١هـ . تفسير البيضاوى .- تحقيق مكتب البحوث والدراسات .- بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٦م .

١٣. القاضى عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦هـ . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق عبد السلام عبد الشافى محمد.- ط ١ .- بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

١٤. عبد الحميد كشك . فى رحاب التفسير. القاهرة : المكتب المصرى الحديث ، ١٩٨٨م

١٥. على بن أحمد الواحدي النيسابوري ٤٦٨هـ . أسباب النزول .- ط ٢ .- مصر : شركة مكتبة مصطفي البابى الحلبى وأولاده ، ١٩٦٨م .

١٦. الإمام الفخر الرازي . التفسير الكبير.- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩٥م

١٧. إمام المفسرين الفضل بن الحسن الطبرسي . جوامع الجامع في تفسير القرآن المجيد.- ط ١ .- بيروت : دار الأضواء ، ١٩٨٥م .

١٨. الإمام محمد الحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ . معالم التنزيل حققه وأخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرين .- الرياض : دار طيبة ١٩٨٩م .

١٩. محمد على الصابوني . صفوة التفاسير .- دار الفكر للطباعة والنشر .

٢٠. الإمام محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى . الجامع لأحكام القرآن .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

٢١. الإمام محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٥٢٨هـ . الكشاف .- رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين .- ط .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥م.

٢٢. محمود الصابوني . إعراب القرآن وصرفه وبيانه .- ط ١ .- بيروت : دار الرشيد ١٩٩١م.

٢٣. العلامة الفقيه محمد بن يوسف اطفيش . تيسير التفسير .- سلطنة عمان : وزارة التراث القومى والثقافة ، ١٩٨٧م .

٢٤. محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسي ٧٤٥هـ . تفسير البحر المحيط .- دراسة وتحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ على محمد معوض وآخرين .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

٢٥. محمد الأمين بن محمد الشنقيطى . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .- بيروت : عالم الكتب ، ١٩٠٠م .

٢٦. الإمام محمد بن على الشوكانى . فتح القدير .- ضبطه وصححه أحمد عبد السلام .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٤م.

٢٧. محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير.- تونس : الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م

٢٨. محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ٢٩٧هـ. الجامع الصحيح المسمى (سنن الترمذى).- تحقيق كمال يوسف الحوت .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م .

٢٩. محمد بن على الهاشمي . شخصية المسلم . ط٢ .- بيروت : دار البشائر الإسلامية ١٩٨٦م .

٣٠. الإمام محى الدين النووى ٦٧٦هـ . رياض الصالحين . كانو نيجيريا .:- مكتبة أبو بكر الصديق .

٣١. الإمام مالك بن أنس ١٧٩هـ . الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثى الأندلسى .- علق عليه الأستاذ سعيد اللحام .- بيروت : دار الفكر.- ١٩٩٨م .

٣٢. الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ . الجامع الصحيح المسند المختصر. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .- ط ٢ .- تونس : دار سحنون ، ١٩٩٣م .

٣٣. الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوي ٢٦١هـ . الجامع الصحيح .- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .- ط ٢ .- دار الفكر، ١٩٠٠م .

٣٤. محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه . سنن ابن ماجه .- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى.- دار الفكر، ١٩٠٠م .

٣٥. الإمام محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى ٥٤٣هـ . أحكام القرآن .- تحقيق عبد الرازق المهدي .- ط ١ .- بيروت : دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٠م .

٣٦. الإمام محمد بن محمد العمادي المعروف بأبي السعود ٩٥١هـ . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .- القاهرة : دار المصحف ، ١٩٨٠م .

٣٧. د. نادى بن محمود حسن الأزهرى . المقبول من أسباب النزول .- ط ١ .- مصر: مطبعة الأمانة ، ١٩٩٧م .

٣٨. نصر بن أحمد السمرقندي ٣٧٥هـ . بحر العلوم .- تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرين .- ط ١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣م .

٣٩. أ.د/ وهبة الزحيلى . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج .- ط ١ .- دمشق: دار الفكر ، ١٩٩١م .

الكاتب :

أ.د. مصطفى محمد رجب :

١-عمل بالسلك الجامعي :معيدا فمدرسا مساعدا فمدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا فوكيلا ، فعميدا لكلية التربية بسوهاج من [١٩٩٥-٢٠٠١] كما عمل عميدا للمعهد العالي للدراسات الإسلامية بسلطنة عمان [١٩٨٩-١٩٩٢]

٣-عضو اتحاد الكتاب المصريين ، والمجالس القومية المتخصصة برياسة الجمهورية بمصر ولجنة التربية بالمجلس الأعلى للثقافة بمصر.

٤-رئيس جمعية الثقافة من أجل التنمية ورئيس تحرير دوريتها العلمية المحكمة [الثقافة والتنمية]

٥-رئيس مجلس إدارة جريدة [رسالة الجنوب] المرخصة من المجلس الأعلى للصحافة بمصر.

٦- يكتب في عدد من الصحف والمجلات العربية من أكثر من ثلث قرن وله أعمدة ثابتة في بعضها.

٧- صدر له أكثر من ثلاثين كتابا وبحثا وخمسة دواوين شعرية .

٨- يعمل حاليا أستاذا للتربية الإسلامية ورئيسا لقسم أصول التربية بجامعة سوهاج - ورئيسا لنادي الأدب المركزي بمحافظة سوهاج – ونائبا لرئيس فرع اتحاد كتّاب مصر بجنوب الصعيد .

العنوان الدائم للمراسلة البريدية : مصر - سوهاج – كلية التربية

البريد الالكتروني : mostafaragab 1999@yahoo.com

الهاتف في مصر : ٠١٠١٩٩٨٣٧٧ - فاكس ٠٩٣٤٣٩٦٧٠١

الهاتف في القاهرة : ٢٤٢٦٤٧٦٢